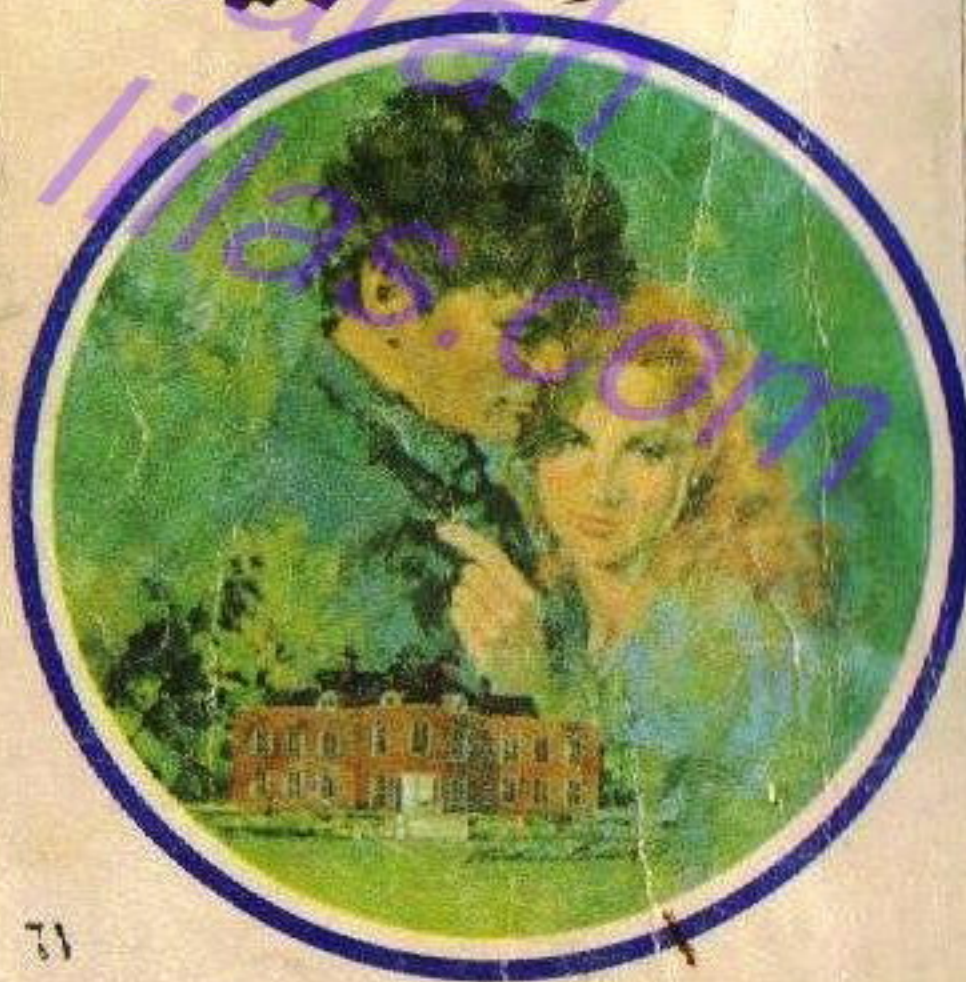


روایات عبر



نُان اسکوئٹ

الشکی



السَّيِّئَةُ

وشم الحب قلب ستاسي وعاشت مع اليكسيس قصة حب قصيرة انتهت بموت الزوج الحبيب، واعتقدت ان حبها دفن معه الى الأبد. أصرت ستاسي على رفض معونة عمها الطاغية الذي رفض مساعدة ابنه وتخلي عنه، لكن ظروف ابنها الصحية تجبرها على قبول دعوة لزيارة مسقط رأس زوجها.

تصل ستاسي الى اليونان... أرملة صبية جميلة، فتلتقي بول حيث تتداخل الصور امام عينها... ها هوذا زوجها يظهر امامها لشدة شبهه بأخيه بول، فهل تقع اسيرة الشبه وتحب بول ام ان ليدا الرقيقة خطيبة بول تنقلب الى غيرة تدافع عن حقوقها.

هل يحب الانسان مرة ثانية ام يبقى اسير الحب الأول؟

العنوان الاصيل لهذه الرواية بالانكليزية
THE GARDEN OF PERSEPHONE

١ - الرسالة وأصابع الجمر

منذ وفاة الكيسيس، بدت لي تلك السنوات الثلاث كأنها شتاء طويل، كأنها أيام موعلة في العبوس والتجهم. الشمس اشرقت، لكنني لم أرها... كأنني مرهونة لكل ما يلغى الحقيقة! واليوم، بعد أربع ساعات في الطائرة التي أقلت من مطار ليفربول الملتف بالضباب، تغمرني كل هذه الاضواء. المدرج البراق وسقوف المباني اللامعة تبرز امام عيني واضحة في سماء شديدة الزرقة. في قاعة مطار اثينا الكبرى كانت الحقايب قربنا. نيكوس وأنا، في انتظار والد الكيسيس.

كان كل شيء غريبا، وجديدا؛ الاصوات اليونانية، والوجوه الواضحة الجلية، والعيون الداكنة والنظرات السريعة. وامام هؤلاء الناس الشيطيين، غمرني شعور هامشي كأنني سأعرف بعد لحظات انني تمكنت من العبور والرسو. شدني نيكوس بيدي فصرخت:

«ماذا تريد؟»

«اني عطشان.»

لم أرغب المجيء الى هنا، لكن، من اجل نيكوس فقط وافقت. كنت اخشى ان التقى للمرة الاولى والد زوجي وعائلته. واكثر من ذلك، كنت ارفض التعرف الى رجل تخلى عن ابنه الذي رفض ان يتراأس الشركة البحرية كرفيليس

واختار طريقاً مختلفاً. والسيد كرفيليس لم يتصل بآبته منذ أن غادر ميلانوس، متوجهاً إلى باريس. ثم إلى انكلترا.

لم يحضر أي فرد من العائلة حفلة زواجنا. وبعد سنة. جاء أخوه لانتقيته ويدعى بول. لحضور المأتم. وكنت في ذلك الوقت في المستشفى اعاني من نوبة عصبية انتابني بعد وفاة زوجي.

استدريت في حركة مفاجئة للتخلص من هذه الذكرى. واذا بي اصطدم برجل طويل القامة. يتقدم منا. اعتذرت منه وشعرت باضطراب. لكنه تمسك بي وابتسم قائلاً:

«هل انت السيدة كرفيليس؟»

«نعم»

الاسمى مايك هاردينغ. لقد تأخرت عن الموعد. حدثت بعض المشاكل التقنية في المطار الخاص.

اقلت من قبضته وقلت:

«لا بأس. نحن وصلنا لتونا. اقدم لك ابني. نيكوس نيكوس. صافح السيد هاردينغ»

مد نيكوس يده بتهذيب وتأمل في اهتمام هذا الرجل العملاق ذا الشعر الناري. كنت اتوقع أن يأتي للقائنا يوناني ذو بشرة سمراء. أو احد وكلاء الشركة. لا هذا الرجل الملتحى الذي يرتدى بذلة كاكية وقميصاً زرقاء نصف مفتوحة ويعتمر قبعة من القش.

تبادلنا النظرات وبدأ اللقاء قائلاً:

«لم اتوقع أن أرى شاباً مثلك»

كبرت أشعر بالحجل لولا ابتسامته الودية. فأجبت:

«وان كذلك. لم أكن اتوقع لقاء رجل انكليزي. اليس جميع موظفي السيد كرفيليس من اليونانيين؟»

«أني من نيوزيلندا. ولست موظفاً لدى السيد كرفيليس. إنما أنا احد رعايا قازيلي»

«أحد الرعايا؟»

«نعم. لقد اطلقنا على الجزيرة اسم مملكة قازيلي. واسي اعمل في مطارها الخاص»

تناول الحقائب وقال:

«هيا بنا»

شدني نيكوس مرة أخرى بكم قميصي وراح يتوسل إلى بنظراته. فقلت للطيار:

«لا أريد تأخيرك. لكن. ألا يمكننا أن نشرب شيئاً صحيحاً؟» تناولنا ما تروبه في الطائرة. لكن نيكوس ما زال عطشاً. هل امامنا متسع من الوقت قبل أن نطلع الطائرة إلى ميلانوس؟

«لسنا في عجلة. الطيار هو صديق قديم وسينتظرننا»

تبعنا الرجل العملاق الذي يحمل الحقائب من دون أي جهد ظاهر وبعد خمس دقائق. كنا نجلس امام الطاولة وبين ايدينا ثلاث كؤوس من الليموناضة»

سأل مايك

«كم عمرك يا نيكوس؟»

«عشرى اربع سنوات»

ثم التفت إلى وتابع:

«اليس كذلك يا أمي؟»

«تقريباً اربع سنوات»

رمفني مايك بنظرة خاطفة ثم حوّل نظره عني لا شك انه يفكر مثل الكثيرين. بأنني أرملة شابة. كنت في الثالثة والعشرين من عمري تزوجت في التاسعة عشرة وترملت وأنا في العشرين وما زلت وحيدة لكن هل في امكاني ان

أحب مرة أخرى كما أحببت الكسيس؟
قال مايك.
«أذن، أنت ولد كبير».

لم يكن ما قاله مايك هو الحقيقة، إذ أن نيكوس صبي صغير جداً بالنسبة إلى عمره، ونحيل وسريع العطب. أنه هزيل، هذا ما قالتها السيدة باتس التي استأجرت غرفة في بيتها. «من الصعب عليك أن تحافظي على صحته خلال هذا الشتاء».

لم يكف نيكوس عن السعال، وقد افترغني الطبيب بأن أغادر مدينة ليربول. إن معاشي لا يكفي لمعالجته في حال إصابته بمرض خطير. كان يجب أن أبحث عن مكان صحي ودافئ، في جنوب انكلترا مثلاً، وفي أحد الأيام من شهر آذار/مارس، عندما بدأت الرياح تعصف في انتظار الربيع، وصلتني رسالة من السيد كرفيليس مكتوبة بلغة انكليزية صحيحة، جاء فيها: «العزيزة ستاسي، من الصعب على الكتابة إليك، لكنني أشعر بأنني في حاجة ماسة إلى أن أتعرف إليك وإلى نيكوس. أنت مستقرة، بعد هذا الصنف الطويل الذي دام لسنوات. لكن ذلك كان سيئاً عناءاً وتصلباً وقساوة رجل عجوز. إنني أسف على كل شيء وأرجو أن تسامحيني، من أجل حبك لأنكسيس». لقد أحببت ابني، لكننا تشاجرنا. ولو كان أماناً متسع من الوقت، لكننا تصالحنا واجتمعنا من جديد وكنا معاً الآن.

الأمر أن القدر شاء أن يكون الوضع على ما هو عليه بعد سنتين من مغادرتي الجزر مات الكسيس في حادث مؤلم، وأصبحت أنت بجراح. فجئت بالثبات ولم أستطع لحمل رؤيته ميتاً. لذلك لم أحضر المآتم، لكن، لو تستلي رؤيتك من يدي، فقد نصبح صديقين... لكن الهوة اتسعت بيننا. لقد رفضت مساعدتي احتراماً لأنكسيس. وأنا لا أملك على هذا. إنما العكس هو الصحيح. إنني أحببتك فبك شجاعتك وشهامتك وعزة نفسك. لكن هذا لن يوصلك إلى التسامح.

والغفران. إنني أكتب إليك في حزن وأسف. فاني رجل عجوز ولن أعيش إلى الأبد. وأمنيتي الوحيدة هي التعرف إلى حفيدي الوحيد. هل بإمكانني أن أطلب منك نسيان الماضي والحضور إلى ميلابنوس. إنها موطنك وبيتك. إن هذه الجزيرة هي جزيرة نيكوس وسيكون ودياً ما. أحبك من صميم قلبي وبحارة إن ترددي على رسالتي.

«فازيلي كرفيليس»

أعدت قراءة هذه الرسالة مرات عديدة قبل أن أخضع القرار النهائي. كنت أحمليها في أي مكان أذهب إليه، وضعتها داخل حقيبة يدي. كنت أقرأها في شقتنا الصغيرة الذي صمم ديكورها الكسيس، بعد العشاء، قبل النوم، في الصباح وكنت مترددة بين رغبتني في الذهاب لاكتشاف الجزيرة التي ولد وترعرع فيها الكسيس، وبين كراهيتي لرجل تخلى عن ابنته بقسوة وحرارة. لقد تأثرت كثيراً بهذه الرسالة. الأب والابن كانا ولا شك مخطئين. كان الكسيس شاباً حيويًا، دافئاً جليلاً وكان حسن المظهر ويتمتع بوجه جميل وبشرة لونها الشنل وسعيت سوداوين خالكنتين. كنت أفكر فيه، وأردد بصوت شارد: «الكسيس الكسيس».

«هل انتهيت؟ هل في إمكاننا الذهاب الآن؟»
أشرت بظرف عيني وأنا استعيد تدريجاً الواقع ونظرت إلى كأس الفارغة وقلت:

«بكل تأكيد. عفوًا»
نهض العملاق الملتحي وأبسم لي يميناً قائلاً:
«هل أنت مستعد للطيران من جديد؟»
«نعم، نعم».

نهض نيكوس في كرسيه وأضاف في تردد: «نعم».

«شكرا على الليموناضة المنعشة. فقد اطفأت ظمائي».

«ارجوك».

تناول مايك هاردينغ الحفائب والتفت الى وقال:

«ارجو النحاق بي».

«نعم».

«هل مررت بالجمر؟»

«نعم. كل شيء مرتب».

تبعتها في القاعة. ثم هبطنا السلالم قبل ان نعبث مرة حيث اوقفنا ضابط راح يتفحص الاوراق. وبعدها فتح الباب الزجاجي وخرجنا منه متوجهين الى الطائرة الصغيرة التي في انتظارنا على بعد امتار قليلة. اشار لنا مايك قائلاً: «هذه هي طائرتنا».

«ماذا؟ هل سنصعد الى داخلها؟»

«طبعاً».

ثم انحنى نحو نيكوس وتابع:

«اذن، نيكوس، ما رأيك بهذه الطائرة. انها طائرة جندك الخاصة».

ثم التفت بي وتابع:

«داخل الطائرة ثلاثة امكنة فقط وعند فازيلي طائرات اكبر تتسع لثمانية اشخاص. خاصة باصدقائه وأقربائه. لكن الجميع يذهبون اليوم الى بيربوس بالباخرة».

«متى نصل الى ميلانوس، يا سيد هاردينغ؟»

«ارجوك أن تتأدبني مايك. مثل الجميع. سنصل الى ميلانوس ظهراً».

رفع حاجبيه وقال:

«هل تشعرين بتوتر؟»

احمرت وجنتاي وسألته:

«لماذا تقول هذا الكلام؟»

نظر الى بامعان واجاب:

«انت لا تعرفين عمك. ولا شك انك تشعرين بهذاب حقيقي. كما تبدين مضطربة. لا تقلقي. كل شيء سيتم على ما يرام».

عدت اتساءل لماذا جاء هذا الرجل الغريب لاستقبالنا. وقلت:

«هل انت صديق لعائلة كرفيليس؟»

ابتسم وغمز بعينه الزرقاوين وقال:

«تقريباً. لوالدي مصالح على هذه الجزيرة. ربما كنت تتوقعين ان يأتي بول... لاستقبالك. كان عليه الحضور. لكن ليذا اغرقت المركب وهو مصاب في عينه وبده في حالة سيئة. لا شيء خطر. لكن هذا هو السبب الذي من اجله لم يستطع المجيء الى هنا لاستقبالكما. انا وهو الوحيدان القادران على قيادة هذه الطائرة. دعيني اساعدك».

ليس الآن وقت الشعور بالتوتر. اجلس نيكوس المضطرب في احد المقاعد ووضعت حزام الامان وجلست قربه. أحدث محرك الطائرة صوتاً قوياً وبدأت الطائرة تتحرك على المدرج. وبعد ثوان قليلة. ومن دون اي جهد يذكر. اقلعت الطائرة مثل النورس. ورأيت وراءنا المدينة المشمسة تبتعد. وامام عيني امتد البحر الازرق الذي تلمع امواجه البيضاء.

كان نيكوس مندهشاً. واسع العينين. يتمتع بذلك. خارق نسبة الى سنه. وهذا بسببي. كل هذه المسؤوليات جعلت من حياتي سباقاً متواصلاً. وكنت احرف نيكوس في هذه العجلة الكبيرة. لذي عمل ثابت ومستقر ومعاش محترم. وفي الوقت نفسه كنت احاول قدر المستطاع منح ابني الحب والاستقرار. لكن كانت تنقصه اجواء المرح والحرية والسعادة التي لم اعد اعيشها منذ وفاة الكسب.

الوحدة تجعل الانسان خائفاً ومذعوراً. كنت وحيدة ومتروكة. عندما التقيت

الكسيس، فقد توفيت أمي التي تزلت منذ كنت طفلة. كان لدى بعض الأقارب، في كندا وعم وعمه في اسكتلندا، وهما قدما لي مسكنا عندهما، لكن هذين العجوزين كانا يحتاجان الى خدماتي فقط ولم يمنحاني العاطفة التي انا بحاجة اليها. فشكرت لهما اهتمامهما وغادرت اسكتلندا عائدة الى انكلترا.

عملت للمرة الاولى، في سن الثامنة عشرة، حين التقيت الكسيس. كان يعزف على البوزوكي في فرقة تدعى الفاريون. قدمه الى احدهم وحدث الحبيب من النظرة الاولى.

كان الكسيس وحيداً، وحزيناً منذ ان تشاجر مع والده. يعمل في النهار في مطعم وفي الليل يعزف في النادى مع فرقته. الموسيقى حياته. كان يحلم بكتابة الاغاني التي تدندن على شفاه الناس في العالم اجمع.

وبعد ستة اشهر، تزوجنا. وكنا متأكدين من امكانية العيش بمواردنا المتواضعة. استأجرنا شقة صغيرة عند السيدة باتس. وكنا سعيدين مثل الاطفال في القصص الخرافية.

كان الكسيس يعيش من مال والدته. وانا بقيت في العمل حتى اقترب موعد ولادة نيكوس ووقع الكسيس على عقود جديدة وبدأ يكون لنفسه شهرة لا بأس بها. والتجاح بات قريباً. كان قد قام بمشاريع عديدة في نيته أن يحققها في سنة واحدة.

وكان يقول باستمرار «سأعود الى والدي وسأريه ما حققت! وسأبرهن له أن المال والنفوذ والقوة، ليست شيئاً. وأن الاخلاق تحقق فرحاً مختلفاً وأنه يجب اعطاء العالم شيئاً نابعاً من اعماق الانسان بالذات، لا مما يملكه».

ربما يبدو ذلك خيالياً، لكنني كنت اؤمن به وبعفريته. وفي احدى ليالي تشرين الثاني/نوفمبر، كان نيكوس قد بلغ العام الاول من عمره. وكنا عائدتين من النادى في سيارة صديق له. عندما حدث المحتوم

الذي لا مفر منه. الضباب كان كثيفاً والطريق تنزلق. وفي احد مفارقي الطريق، اصطدمت السيارة بشاحنة. وكانت نتيجة الحادث كسراً في أحد قدمي صديقتي، وصدمة عنيفة لي. سائق الشاحنة لم يصب بأي اذى. اما الكسيس فقد قتل رجلي على الفور.

اه كم ارجب الا افكر في ذلك الشتاء الرهيب! يا لعدد الجزر الهائل والبحر الهائل. وكنت اضرب النظر عن هذه الذكريات. القيت بنظرة خاطفة الى راسكليك الذي يقود الطائرة. فالتفت نحوي وقال:

«منظر جميل، اليس كذلك؟»

«رائع، يا لعدد الجزر الهائل والبحر الهائل». «يا لعدد الجزر الهائل والبحر الهائل». «ان البحر هو حياة اليونان. والناس لا يملكون سواه. الجبال تجعل الاتصالات صعبة. وفي الشتاء يعتزل قاطنو الجزر ويفضون فصل الشتاء في النوم، لكن في الربيع، يبدأ موسم صيد الاسماك، فيبيعونها ويلتقون ببعضهم البعض من جديد».

اشكال بيده وتابع يقول: «يا لعدد الجزر الهائل والبحر الهائل». «حتى على الارض الصلبة، يفضل الناس الابهار للوصول الى مكان ما غالباً ما يكون ذلك سهلاً وأسرع، من العبور على الطرقات المعقدة سلاسل الجبال هذه ليست سوى امتداد لجبال البلقان مرورا بكونستيا والبولوبوتيز قبل ان تنوب في البحر وهنا، تبرز في شكل جزر».

«وميلانوس». «يا لعدد الجزر الهائل والبحر الهائل». «انها اعمل الجزر مليئة بالاشجار الخضراء وغنية بالنباتات المتنوعة». «هذا ما كان يقوله الكسيس».

«الكسيس».

تردد لحظة ثم تابع:

«اني التذكره قليلاً جداً. لدى وصولي الى هنا كنت ما ازال طالباً. وكان

الكسيس يصغرنى سنًا ربما كان عمره ١٢ سنة. ولما عدت الى هنا. منذ خمس سنوات. كان قد غادر الجزيرة ليعيش في انكلترا. كان فازيلي غاضباً عليه. لم يكن لأحد الحق في ان يلفظ اسمه.»
هز رأسه واضاف:

«لا الوم الكسيس لمغادرته الجزيرة ان والده يتمتع بشخصية قوية. ولهذا السبب فضل بول الاهتمام بفرع الشركة في الولايات المتحدة الاميركية. وامضى هناك وقتاً لا بأس به.»
سألته:

«هل يعيش بول الآن في ميلانوس؟»

«نعم. عاد في العام الماضي. عندما افتتح فازيلي مشروعه الجديد في شارتوس. ان والدته بول تعيش في اميركا. انها اميركية الجنسية وزوجة فازيلي الاولى. ولما تم الطلاق بينهما. بقي بول مع والدته. وتزوج كرفيليس من والدته الكسيس.»

«وزوجة السيد كرفيليس الثانية. الم تفت قبل مغادرة ابنتها الكسيس الى انكلترا؟»

«نعم. كانت امرأة يونانية رائعة. تصغر زوجها باعوام عديدة. انه وحيد الآن. وهو السبب الذي يجعله يضغط على بول. يريد ان يتزوج ليذا ليؤمن الخلف.»
«من تكون ليذا؟»

«انها فتاة يتيمة يرعاها كرفيليس منذ وفاة والدها الذي كان أحد شركاء فازيلي. انها ورثت لقب والدها ويعتقد فازيلي انها الزوجة المناسبة لبول ولمصلحة العائلتين في الوقت نفسه.»

قلت في فضول:

«هل هما محظويان؟»

هز مايك رأسه وقال:

«ليس بصورة رسمية.»

«يبدو انك تعرف الكثير عن العائلة.»

«اعرف كيف اتلقى المعلومات اللازمة عما اريد.»

نظر الى من جديد وقال:

«لكني لا اعرف شيئاً عنك. ولا حتى اسمك.»

«اسمي ستاسي.»

«ستاسي. اسم جميل. اني احب كثيراً النساء ذوات الشعر الناري.»

من زمان لم اسمع كلاماً كهذا على لسان رجل. فاحمرت وجنتاي خجلاً ولحسن حظي لم يكن مايك ينظر الى ليلاحظ مدى خجلي.»

تابع يقول:

«عليك حماية بشرتك الشاحبة من حرارة الشمس اللاهبة. ان شهر ايار/مايو شهر جميل. فهو ليس حاراً. لكن الحر يبدأ في الشهور التالية. وفي تموز/يوليو وأب/اغسطس. تصبح اثينا مدينة لا تنطاق. لكن في الجزر. يساهم الهواء النشالي الخفيف الذي يهب في الربيع حتى نهاية الخريف. في التخفيف من شدة الحرارة.

وفي الصباح. كما في المساء النسيم العليل ينعش الجو.»

كنت اتكلم معه وكأنا صديقان قديمان سألته:

«ما هي مهنتك؟ هل انت طيار؟»

«كلا. اني مهندس واعمل في المؤسسة التي تهتم بتنظيم ممتلكات فازيلي. ان الجزيرة كلها ملكه والجزيرة القريبة منها. اي جزيرة شارتوس. هي ايضا ملكه. وهاتان الجزيرتان متلاقتان. وينوي فازيلي ان يجعل الجزيرة الثانية مركزاً للاستجمام يرتاده الاثرياء. وهو ينسى الى طبقة الاغنياء ويعرف تماماً ما هي امتيازات هذه الطبقة بالذات.»

«هل تريد ان تقول ان فازيلي ثري كثير؟»

«نعم. انه غني جداً. الم تعرفي ذلك؟»

«لا كنت اعرف انه مرتاح ماديا كأي مالك سفن، لكنني لم اكن اعرف انه مليونير ذو ثروة ضخمة. هل صحيح انه يملك ثروة هائلة؟»
«انتي لا امرح بالمال. اني احترم كثيرا هذه القبيلة وسكانها الذين يفتشونك من صحة اقوالهم هل ترين هذا الجرف في البحر، هنالك انها جزيرة هيلانوس»
انفتحت نيكوس ووضعت يدي على كتفه وقالت له: «انظر يا صديق»
«انظر يا حبيبي. لقد وصلنا ان المنظر رائع. اليس كذلك؟»
نظر الي نيكوس مستغربا وقال: «هذا هو ما كنا نبحث عنه»
«هل هذا الثلج يا صديقي؟»
«اجابه مايك: «نعم هذه هي الجزيرة التي كنا نبحث عنها»
«لا يا صديقي. ان هذا البياض على الجبال هو صخور المنيكا البيضاء»
«انني اظن انني انا»
«يا صديقي، انتم تاملوا هذه الجبال التي تعكس الشمس فتبدو وكأنها مشيرة بطرق غريبة. كما ان هناك نباتات كثيرة وخاصة بناتين الزيتون التي تنمو من أعلى القمم تزولا حتى البحر الشفاف»
«بيوت ذات سقوف ارمادية وبيضاء والجدران زرقاء وصفراء وخمراء كلها مشورة في الجزيرة. كنيسة صغيرة في طرف القرية ومرفأ داخل البحر ومن بعيد، مراكب الصيد واليخوت والزوارق على اختلاف انواعها...»
«انني انصرفت الطائرة ولم نعد نرى القرية وسكانها. ظهر أمامنا مدرج الهبوط الطويل الذي يضم في اطرافه الجارات والساحبات والجرفات وشبارات الجبل والشاحنات هبطت الطائرة بهدوء وتوقفت بعد ثوان قليلة على الأرض المعبدة»
«ساعدنا مايك على النزول واقترب منا رجل يركب بدلة بيضاء ناصعة احمر رأسه وتكلم باللغة اليونانية. فرد عليه مايك ثم التفت الى قائلا: «انه بيتروس، سائق فازيلي. سيأخذكما الى هيللا مارمارا البعيدة مسافة نصف ساعة من هنا»

«لكن... انت انتي تأتي متعاقبة»
«أوه كنت اوه ذلك لكن مجيئي ليس منتظرا طلب مني فازيلي ان اعود الطائرة وأني نكحنا الى هنا. وهذا كل ما طلب. وكما سبق وقلت، كنت سوى مواطن متواضع ولا يمكنني ان اتقدم امام جلالته من دون ان اكون مدعو»
انتبه الى تعبير وجهي المذهول فقال: «انظر يا صديق»
«كنت امرح ان فازيلي يجب ان يلعب دور السلطان»
ثم وضع يدي في يده وتابع: «لا تتخذي هذه الملامح المرعبة لا بد ان فازيلي نفسه مريض ايضا سوف اراك مرة اخرى. يا ستاسي. ما من أحد يملكه من روثك. انها بداية صداقة كبيرة»
«عصفت على نفسي وقلت: «انني انصرفت للظهور بهذا المظهر لكن...»
«انني الكلام مكاني فانا»
«انك شعرتين في هذا البلد وكأنك غريبة. لا ان غمك ناعم كالحمل وقبلا مارمارا رائعة ومكان الاحلام. سوف نحين العيش هناك. اني اللقاء يا نيكوس»
«انني سعيد بالتعرف اليك. اني اللقاء»
قال له نيكوس: «انني اللقاء. هل تأخذني مرة اخرى في طائرتك؟»
«طبعاً. سنذهب ايضا الى الصيد في باخري»
«قلت مايك يده من يدي وقال مبتسما: «وانت ايضا يا ستاسي»
«شكراً»
«هيا اذن الى اللقاء»
تراجع الى الزوارق ووجه بعض الكلمات لبيتروس الذي حمل الحقائب

ووضعها في سيارة المرسيدس المتوقفة قربنا. صعدنا الى السيارة وجلسنا في مقاعدها المريحة المصنوعة من الجلد الازرق وبدأ المنظر يعبر أمامنا. وصرت السيارة قرب حقول خضراء مزروعة قمحاً وشعيراً. انه الاسبوع الاول من شهر ايار/مايو، بداية الحر والارض لم تجف بعد.

كلام مايك لم يجعلني أطمئن تماماً. اخنى لحظة الاجتماع بوالد الكسيس. لا أشعر تجاهه إلا بالمرارة. لأن الكسيس وصفه لي كأنه وحش. ربما هذا الرجل مزايا خفية. لا شك انه كريم جداً. اراد ان يدفع نفقة شهرية لنيكوس، لكنني رفضت مساعدته. ارسل لنا بطاقتي سفر درجة اولى وقمنا برحلة في افضل ظروف ممكنة.

السيارة تمر الآن قرب غابة صنوبر التلال اللامعة تظهر الواحدة بعد الاخرى أمامنا. وصلت السيارة الى قمة وشاهدت لافتة كتب عليها كلمة مارمارا باللغتين اليونانية والانكليزية. وعلى مفرق طرق. انعطفت السيارة الى اليسار وعبرت ممراً واسعاً مظللاً تحيط به الاشجار الكثيفة التي تلتقي ببعضها من طرفي الطريق في قبة خضراء. الرجال يعملون في بساطين الزيتون ويشربون بايديهم الينا. اخيراً توقفت السيارة في ساحة مبلطة. ساعدني بيتروس على الهبوط من السيارة وانفتح باب ضخم وانحنى خادم أمامنا مبسماً وتناول الحقائب وأشار الينا بالدخول.

في البهو المنعش. امرأة شابة ترتدي ثوباً اسود كانت في انتظارنا. استقبلتنا بترحاب وقادتنا الى القاعة الكبرى. كنت اضغط بقوة على يد نيكوس الصغيرة.

فتحت المرأة باباً ذا مصراعين وادخلتنا الى القاعة. ابتلعت لعابي بصعوبة وفي خطي مترددة دخلت و نيكوس ملتصق بي.

كانت القاعة كبيرة ومنيرة والسقف عال. الارض مفروشة ببساط اخضر وطفانس خضراء وجرأ تتدلى من التوافد. رأيت عينيّن تحدقان في ويدين تسدان

على يدي.

«ستاسي. ابنتي! اهلاً وسهلاً في فيللا مارمارا. انها لحظة لا تنسى»

انحنى السيد كرفيليس أمامي وطبع قبلة على يدي.

تعثمت وانا اقول:

«اني... اشكرك. اني سعيدة جداً»

ترك يدي ووضع يده على كتف نيكوس قائلاً:

«نيكوس، قل مرحباً لجدك»

مد نيكوس يده وقال بتردد وحيرة:

«مرحباً»

انحنى السيد كرفيليس أمام نيكوس وقبل جبينه وقال:

«نيكوس، اني سعيد بالتعرف اليك. ولا تعرف الى اي درجة اسعدتني زيارتك»

انتصب، لم يكن طويل القامة كما كنت اتصوره. ثم اشار الى مقعدين كبيرين وقال:

«لنجلس. هل قمنا بسفرة مريحة؟»

«نعم. كانت السفرة رائعة»

جلس مواجهة لنا وراح يتأملنا ويقول:

«كم تبدوان متعبين وشاحبي الوجه. بعد الغداء. ستخلدان للراحة. لدينا الوقت الكافي ليعرف كل منا الآخر. اليس كذلك؟»

«نعم»

كنت اشعر بالضيق رغم ان هذا الرجل لم يشعرني بالهجل. انه متوسط الحجم، يرتدي بذلة من الكتان الابيض الناصع حاجياه الاسودان عريضان وكثيفان فوق عينيه السوداوين. يبدو في السبعين من عمره وفي شعره بعض الحصل البيضاء.

هذا هو وحش كوابيسي. لا شك ان هناك خطأ ما. اذ لم اكن قادرة على

ملاحظة التقارب بين الرجل الذي كتب هذه الرسالة المؤثرة وهذا العجوز المعجب

بنفسه. الجالس امامنا

اكمل السيد كرفيليس كلامه قائلاً:

«لدى الكثير لأقوله لك. ولا اعرف من اين ابدأ. سنصبح عما تريد صديقين

وبالتالي يمكننا التكلم عن مشاكلنا»

توقف لحظة كأن غيمة مرت على وجهه ثم اضاف متلعثماً:

«عن... عن الكيسيس»

انحنى امامي ونظر إلي وقال:

«هل سمعتني؟»

اجبت برعونة:

«نعم. طبعاً»

«لم اسمح نفسي بعد»

خيم الصمت ثم التفت الرجل الى نيكوس وقال:

«انه صورة طبق الاصل عن الكيسيس. وجهه وملامحه كلها تدل على انه من

أل كرفيليس»

مد يده وقال:

«تعال إلي يا بني»

نظر نيكوس إلي في قلق. ثم نهض من مقعده واقترب ببطء من السيد

كرفيليس الذي سأل:

«كم عمرك؟»

انحنى الرجل العجوز لسمع صوت نيكوس الذي تكلم بكلمات خافتة:

«اذن عمرك اربع سنوات؟»

رفع وجهه إلي مستغرباً فقلت:

«سيصبح عمر نيكوس اربع سنوات في شهر تشرين الاول/اكتوبر»

وضع يده على وجه نيكوس وقال:

«اريد أن أرى هذين الحدين نظرين. انك ولد لطيف. لكنك تبدو لي نحيلاً.

وهذا غريب. لأن أل كرفيليس يتمتعون اجمالاً بصحة قوية»

«سوف يستعيد نيكوس صحته هنا. انه في حاجة الى الحرارة والشمس»

«هل نصحك الطبيب بذلك؟»

«نعم. قل لي إن مدينة ليفربول لا تلائم صحة نيكوس»

«اذن ليست الصدفة هي التي جعلتكما تانيان الى هنا»

«لا... انه الحظ»

«لا اعتقد أن هذا هو السبب الوحيد لحضوركما. لقد جئنا لتريا المجد فازيلي»

اليس كذلك. يا ابني؟ تعال الى هنا نشرب نخب وضولكنا»

دق الجرس القريب منه وقال:

«أمل ان تكون هذه الزيارة طويلة وسعيدة»

دخل خادم حاملاً الكؤوس على صينية ثقيلة من الفضة ووضع كل شيء على

الطاولة قرب السيد فازيلي الذي قال:

«شكراً. انجلوس. قل للأتسة كالفوس وللسيد بول ان يحضرا»

ثم التفت إلي ويداء الصغيرتان ترنحفتان وقال:

«ماذا تحبين ان تشربي. يا ستاسي؟»

«عصية البرتقال»

تناولت كأس عندما دخلت من الباب الزجاجي الذي يطل على الترفة فتاة في

ريعان الشباب. يتبعها شاب طويل القامة. استدار السيد فازيلي ومد ذراعه

وقال:

«ليدا. عزيزتي. اقم لك ستاسي. ستاسي. هذه ليذا كالفوس. ابنة صديقي

وشريكى الراحل. انها تعيش معنا في الوقت الحاضر»

شدت ليذا على يدي. جمالها خارق وعينها سوداوان كبيرتان. شعرها الاسود

بمسد على كتفها. وكانت ترتدي ثوباً أبيض شفافاً يظهر سمرة بشرتها التي
لوحنتها الشمس. قالت بالانكليزية:

«أنتي سعيده بالتعرف اليك»

تابع السيد فازيلي قائلاً:

«واقدم لك ايضاً يا ليذا. حفيدتي نيكوس»

مدت ليذا يدها قائلة

«كيف حالك يا نيكوس؟»

التفت السيد فازيلي الى من جديد وقال:

«وهذا هو ابنتي بول»

كان الرجل ما يزال وراء ليذا. انه طويل القامة، اطول من الكسيس. على
عينه اليسرى قطعة قماش حريرية، واحدى ذراعيه مربوطة بمنديل من الحرير.
تذكرت كلمات مايك. لكن ليس هذا المظهر هو الذي جعل قلبي يخفق في
سرعة ان وجه بول وانفه وخديه وقفه وشفتيه وملامحه الواضحة، كلها تقول
ان هذا الرجل هو الكسيس... كان السنوات الماضية كلها تبخرت في لحظة.
كان الكسيس آخر اكبر سنا واشد قوة، يقف امامي.

سأل بول في صوت عميق ودافئ:

«كيف حالك يا ستاسي؟»

رن صوته في اعماقي لا، المتكلم ليس الكسيس. اجبته وانا امد يداً مرتجفة:
«حالتني جيدة جداً، شكراً»

جاءت ليذا وجلست في كرسي، ثم قالت لنيكوس في لطف:

«انك جميل مثل والدك»

شعرت بتقاعتي. ان بول يشبه الكسيس لأنه شقيقه، وليس هناك اي
مهرر كي اشعر بالتوتر والاضطراب قلت:

«لكنه لا يتمتع بصحة جيدة. الطقس والبحر والتغذية ستفيدو جداً»

«بكل تأكيد. هل سبق لك وزرت اليونان؟»

«كلا لم ازر سوى فرنسا ولا اعرف الا بلدي انكلترا»

تأملت بول في ايمان. انه اطول من زوجي واكبر سناً واكثر حيوية. كما
انه يبدو اكثر استبداداً وسلطاً. لا شك انه في الثلاثين من عمره. كما ان ليذا
تبدو في سنه. اقرب نيكوس مني كأنه يبحث عن ملجأ وسط كل هؤلاء
الغرباء عنه. رفعت نظري ليشترك مع نظرات السيد فازيلي الذي ابتسم
وقال:

«ربما تريدان تغيير ملابسك والاستحمام قبل الغداء. افرغ الجرس يا بول. من
فضلك»

جاءت الخادمة فتحدث معها السيد فازيلي باليونانية ثم قال لي:

«ستعودك ديدو الى شقتك. ارجوان توافينا الى غرفة الطعام في الساعة الواحدة
والربع»

تعلق نيكوس بذراعي وتبعنا ديدو الى سلم من الرخام ينقسم الى
قسمين. كل قسم يأخذ اتجاهها مختلفاً. ثم عبرنا ممراً طويلاً لنصل الى صف طويل
من الغرف المفروشة باثاث اخضر وذهبي. فتحت غرفة باب نيكوس الذي
بليه باب بطل على حمام صغير ومشرق.

وبينا كان نيكوس يغسل يديه، فتحت احدى الخفاناب واخرجت منها فرشاة
ومرأة وضعتها على منضدة الزينة ثم رحت الاحظ الغرف. بينما كان نيكوس
ينتظرني في وسط الغرفة. كنت اود ان اركع امامه واأخذه بين ذراعي. لكنني
تمالكنت نفسي. ربما ارجعته. كنت اعاني من خوف نافه من ان يخطفه احد مني.
توجهت نحوه ووضعت قبلة على شعره الناعم.

وقلت:

«اليس كل هذا جميلاً؟»

نوجه نيكوس الى السرير العريض المغلف بغطاء حريري اخضر وقال:

«أريد أن أنام هنا معك. وليس هناك»
«حسناً. تنقني معي هنا قليلاً ثم تذهب إلى غرفتك مع شارلي»
«وشارلي هو فرد من النسيج المخمل، لعبته المفضلة»
«لوجه نيكوس إلى النافذة المطلة على شرفة صغيرة وقال»
«الحديقة كبيرة وجميلة. هل في إمكاننا أن نذهب إليها؟»
«ليس الآن. علينا أن نتناول طعام الغداء ثم الاخلاء إلى الراحة. ان جلدك في انتظارنا»
«خرجنا إلى الممر الطويل. ترددت. أية جهة اسلك. إلى اليمين أم إلى اليسار؟ كنت ضائعة كأنني في متاهة. قررت أخيراً الميول إلى اليمين. فجأة توقفت. دافعة نيكوس في عنف مفاجيء. كان بول واقفاً في وسط الغرفة. متجنباً على ذراعه المصابة يشعل سيكارة. سمع نيكوس يرتطم بسيج السلم فرفع نظره نحونا وللحظة كنا كأننا ثلاثة تماثيل نيكوس مستغرب. أنا مسحورة وبول هادئ. لا يتحرك. انحنى أمامنا في تهذيب بيتنا كنا نتقدم منه ثم قال»
«طلب مني والدي أن أرافقكما إلى غرفة الطعام»
«صنيتا في صمت. وبعدما قطعنا عدداً من الممرات وصلنا إلى غرفة الانتظار. فتح بول الباب الذي يطل على قاعة الطعام الكبرى ودخل أمامنا ثم دعانا إلى الدخول. استقبلتنا السيدة فازيلي مبتسماً وقال»
«هل وجدت كل شيء كما كنت ترغبين؟ اجلسي هنا يا ستانسي. وانت يا ليدا. اجلسي هنا في قرب بول. أما نيكوس فاجلس في القربى»
«الطاولة المستديرة مغطاة بشرشف وردي وضعت عليه اقفاص فيضوية من اللون نفسه. وفي الوسط باقة من الزهور الأبيض المعطر»
«نيكوس وأنا أكلنا قليلاً. إذ أن هذا الطعام الغريب لم يغرنا. نيكوس لم يحب ورق العريش المحشو بالأرز واللحم الناعم مع حنابلة الحامض. أحب الدجاج ولم يستطع لحم البقر المطبوخ بالجوهر. انتاب القلق السيد فازيلي

فقال
«بالشهية الضئيلة. اني افهم الآن لماذا هو نحيل إلى هذه الدرجة»
«لكن نيكوس اكل بشهية قطعة من قالب الحلوى المصنوع من العسل والز واللوز والقرفة»
«وبعد القهوة التركية. اعتذرت واخذت نيكوس إلى القيلولة. وهكذا فعل الجميع. وعندما كنت اصعد السلالم لاحظت أن ليدا تعرج وسألها ما إذا أصيبت بجراح خطيرة. فأجابتنى وهي ترمقني بنظرة فيها خيبة أمل»
«لا شيء». لقد أصبت في ظهري خلال الحادث. لكن بول هو الذي تألم أكثر مني»
«ثم وضعت يديا على ذراع الرجل وقالت»
«ماذا يمكنك أن تفعل لك يا بول؟»
«لن اطلب منك سوى شيء واحد وهو ألا تقودي بهذه السرعة. فقد لانسكون محطوطين في المرة المقبلة»
«انسم وظهرت أسنانه البيضاء. واللمسة الأولى رأيت بهجة الكسبيس وبشاشة وجهه في النظرة التي رمق فيها ليدا»
«كان السيد كرفيليس يتبعني برفقه نيكوس»
«بعد القيلولة. سالتني في الحديقة وتناول الشاي نحن أيضاً لنا عادات انكليزية»
«استيقظنا من النوم مع اقتراب الساعة من الرابعة واخذنا حماماً طويلاً ثم ارتدينا ملابس نظيفة وناهبنا للذهاب إلى الحديقة. ارتدى نيكوس بظفون شورت وقميصاً زرقاء مقلية. كان يبدو شديد النحافة. اخذته بين ذراعي برغم فرازي ألا اذاغيه. جذبته نحوى. سيقى في فيللا مرمرا حتى يستعيد نيكوس صحته بشكل نهائي»
«هزني بلطف وقال»

«لماذا تصحكن، يا أمي؟»

«كنت أتصورك مستديراً كالطابة عليك أن تأكل كل ما يقدم إليك»

«إن الطعام هنا غريب جداً»

«كلا. من هذا الطعام أكل والدك عندما كان يعيش هنا. وأصبح شاباً جميلاً وكبيراً»

«هل هنا منزل والدي؟ هل كان يسكن هنا؟»

«نعم. لقد سبق وقلت لك ذلك قبل مجيئنا. والآن، هل أنت مستعد للذهاب إلى الحديقة؟ كان والدك يقول إنها حديقة رائعة»

لوتسني لألكسيس الوقت ليحدثني عن طفولته، لكان في أمكاني الآن أخبار نيكوس عنها وبالتالي جعل هذا المكان أكثر حيوية. لكن للأسف كانت حياتنا معاً قصيرة جداً وابني لم يعرف والده تقريباً.

في الطابق الأسفل. بدت القليلة هادئة. نائمة. أي اتجاه سأأخذ لتصل إلى الحديقة؟ التفتت بالخادمة «بدو التي لا تفهم الانكليزية. وبعد ترديدي كلمة حديقة مرأت عديدة. توصلت بالنهاية إلى الابتسام وتناولت يد نيكوس وتبعتهما إلى الخارج، إلى شرفة معينة، مبنية على عواميد ضخمة

في الجهة الأخرى. طريق تمتد بين الشجيرات. وفي الطرف الآخر أشجار السرو تشكل شاشة. كان القليلة تنتهي عندها. لكن خلف أشجار السرو، باحة أخرى محاطة من الجهتين بجدار قديم ومن الجهة الثالثة بأشجار السرو ومن الجهة الرابعة مفتوحة على البحر.

بقيت مسرة مكاني، مخدرة بتأثير روعة المكان. كان الجو لطيفاً. هنا الأزهار على مختلف أنواعها. الوردية والبيضاء والخمر والبنفسجية وفي الوسط سبيل ماء ونوافير المياه تسقي الأرض بقطرات الماء التي تلمع تحت الشمس مقعدان من الحديد المطلي باللون الأبيض وتقال فتاة جميلة. شعرها يسدل بتجاعيد عريضة على كتفها المنية من الحجر. وشرف كبير يلفها في حركة جوية. كانت

ثلثت صوب البحر.

وضع نيكوس يده في الماء. اقتربت منه. لكن شيئاً ما أوقفني التمثال يقف على قاعدة رخامية. لم يكن هذا المنظر الذي جعلني أرتعش خوفاً. بساط من الزهور بسيط بشكل شلال يختلف الألوان والأنواع ويركض على الحجارة. وهنا وهناك نباتات خضراء وكثير من أشجار السرو. والتربين والصنوبر والجوز.

«انظر يا نيكوس، اليس هذا رائعاً»

سعت خطوات تقترب. جذبت الولد نحوي. لم تكن وحيدتين. ظهر بول فقلت مستغربة.

«أه»

أخني وقال

«أني أسف. جئت لأدعوكما إلى تناول الشاي»

«كنت... كنا نتزه»

«هل المنظر يشدرك؟»

«كثيراً. حديقة الأجلال، السبيل، التمثال، الأزهار...»

«أنا أدعو هذه الحديقة حديقة برسفوني»

كان بول يحدق بي. فقلت.

«برسفوني تلك التي خطفها ملك الجحيم وسجنها في ملكه»

«نعم. هل تذكرين ذلك جيداً. سمح زوس لبرسفوني الذهاب شرط ألا تقضي هناك أكثر من ثلث السنة. وفي كل مرة تعود يبدأ فصل الربيع. إن هذه الحديقة حديقة الربيع فقط وفي الصيف. كل الأزهار تبدل. نحن الآن في أحد أوقاتها لنتمتع بها»

نظرت إلى السبيل، وإلى الزهور وإلى الأشجار الضخمة الخضراء. وشعرت بالسلاخ الداخلي. مثل برسفوني. كأنني أتية من العتمة لأرى هذا العالم المليء بالألوان والأنوار.

التفت نظراتي بيول وتذكرت للحال الكيسى. سألته:
«هل هذه الحديقة من تصميم والدك؟»
«كلا. إنما من تصميم والدة الكيسى. ماتت قبل أن تنتهي التنفيذ. انظري.
السلام تصل الى هنا.»
انحنيت وسألته:
«ألا يمكننا النزول الى البحر من هنا؟»
«بلى. هذا ممكن. هناك درج صغير محفور في الصخرة، لكنه خطر. لكننا عندما
نذهب للسباحة في البحر، نأخذ المصعد.»
«المصعد؟»

«اني اصدقك. جئت الى هنا من اجل صحة نيكوس»
«ولأجلك انت ايضا كي يساعدك والدي ماديا. اليس هذا ما ترغيبه؟»
شعرت بنظراته تنظر الى ملاسي البسيطة والمتواضعة. قلت:
«والدك عرض عليّ مساعدته بعد موت الكسيس. لكنني رفضتها»
«ان الصمت طويلا. أخيرا قال بول:
«لم اكن اعرف ذلك. لم تقيلي اي مال منه؟»
«كلا».

٢ - زهرة الجليد

مرت الايام التالية بهدوء، من دون حوادث. وشيئا فشيئا بدأنا نألف عالم فيللا مارمارا. كنا نقضي ساعات طويلة في الهواء الطلق، تحت الشمس. نسام ونتحدث مع السيد كرفيليس وليدا. كان بول في أثينا، في مركز الشركة. غيابهم عن الجزيرة كان يريحني.

أحيانا، في الصباح، كنت اخذ المصعد الذي يقودني الى الشاطئ، الشفاف. وكنت اصطحب معي نيكوس لنلعب ونلهو على الرمل الناعم. ليذا لم تكن تسبح في مثل هذا الوقت من السنة. الطقس ما زال بارداً بالنسبة الى الذين يقطنون اليونان. ونادراً ما كان السيد كرفيليس يسبح. كنت اتردد في أن ابقي مطولاً داخل الماء حتى لا أبوء قليلة التهذيب بعد الخروج من الماء. كنت اقدم على سباط البحر. وكان موضوعاً تحت تصرفنا زورق ودراجة مائية. الايام تمر هكذا، ونيكوس يزداد ثقة بنفسه ويتعد اكثر فأكثر داخل مياه البحر. معي بعد قليل سوف يتفنن السباحة. أحيانا كنا نصطاد القريدس الموجود داخل الصخور. ثم نعود لنستلقي على سباط البحر لنتمتع بحرارة الشمس ولذة الاسترخاء.

قرب الظهر تشتد حرارة الشمس. فندخل الى الفيلا لأن الحرارة لا تطاق برغم المظلات الواقية. وما أن ندخل الى الفيلا حتى نشعر بالجو المعتدل وكان يستقبلنا السيد كرفيليس. وفي كل مرة برندي بذلة مختلفة ويقدم لنا المشروبات المعتدلة.

المشجعة.

وليذا نلضم اليها دائما مرتدية الفساتين الفخمة الشديدة الاناقة. كانت تشعري بفخر حالي. وهره استدعاني السيد كرفيليس الى مكتبه وهو كناية عن غرفة كل جدرانها ملبنة بالكتب. من اسفلها حتى السقف. وارض الغرفة مبلطة بالرخام. وفي وسطها مكتب ضخم من الخلد الاخضر وضع عليه ثلاث آلات للهاتف. اثنان منها متصلتان مباشرة بمطار السيد كرفيليس الخاص وببخته الذي يدعى اوسيانيس. والهاتف الثالث يستعمل لاجراء المكالمات الخارجية الخاصة بالفيلا. المخطوط الهاتفية لا وجود لها داخل الجزيرة نفسها.

كان السيد كرفيليس جالسا في مقعده الى يمين الكرة الارضية. ابتسم لي لكن تعبير وجهه كان قاسيا.

«ستاسي، يا عزيزتي، انك تسمعين الآن بصحة جيدة».

وبرغم لطفه كان يربطني. فتابع الحديث قائلا:

«عظيم، كنت اتوقع ان يكون الاسبوع الاول هنا هادئا. لكن حان الوقت. على ما اعتقد، لأن تنسلي قليلاً. سيأتي الى الفيلا بعض الاصدقاء. في نهاية الاسبوع. وأمل ان تعجبك مرافقتهم. انهم شباب، واصدقاء. ليذا ولي».

صمت قليلاً وشعرت بغصة في قلبي. المدعوون، اصدقاء. ليذا، فتيات مثلهما. أنيقات... وكأنه قرأ ما يجول في افكاري فتابع كلامه يقول:

«هيلين كانت في المدرسة في سويسرا. مع ليذا. اما الآن، فهي تسكن في باريس مع زوجها، اتيان موليه. وهو جراح مشهور يبلغ الثلاثين من عمره. سيصلان يوم الجمعة الى ميلانينوس عن طريق البحر على متن الباخرة التي يملكها شقيق هيلين الاعزب، الذي هو ايضا طبيب... والان تصل الى الموضوع الذي يؤلني».

انحنى الى الامام وظل يحدق في عيني وقال:

«انت امرأة رائعة. يا ستاسي، وفوقك رائع ايضا. لكن الملابس التي ترتدين

ليست انيقة، وذلك عائداً الى مشاكلك المادية، على ما اظن. هل تفهمن ما اقصد؟
هنا، عليك ان تكوني جديرة بان تكوني كتنى، وارملة الكسيس. وبما انتى
اعرف عزة نفسك، فقد فضلت ان اطلب من بول ان يجلب معه بعض الملابس
من دور الازياء الرقيقة. سأتى بها غداً وأنا متأكد من انها ستعجبك.
احمررت وجنتاى وقلت متلعتمة: «لماذا لم يجلب معك بعض الملابس؟»
«انت انت انسان كريم، لكن اخاف الأذى» قالت له راسم.
لم يكن فى وسعنى اكمال الكلام، فقبضت كليات السكر عالقة فى حنجرتى.
وشعرت انى ستدريلا الحفيرة فى تلك الاسطورة الخرافية.
«هذا يفرحنى كثيراً يا ستاسى ارجوك، لا داعى لأن تشكرينى»
«لكن، كيف يمكن بول ان...»
«لن يختار بول شخصياً الملابس سأخذ رأى مصمم ازياء ليدا. وفى
المستقبل، لدى زيارتك لأثينا يمكنك شراء ما يعجبك، سأفتح لك حساباً خاصاً فى
البنك»
«انت رجل نبيل وسخي، شكراً يا سيد كرفيليس»
«يمكنك ان تحدثنى معى فى الفة اكثر انت ايتة لى، لا، لا، لأن اطلب منك ان
تأدبنى، يا اى، انما ياسسى، فازيلى، مثل الجميع، هنا بعدت هذه كلمة تسمى
«سأحاول لكن يجب ان اذهب الى نيكوس الذى هو الآن فى انتظارى، لنذهب
معا الى الشاطئ» ان المكان هنا جميل والبحر رائع وهذه الاصواء ما اروعها.
«نعم، هذا الوضوح هو نور اليونان القدماء اعتقدوا ان النور شئ ربانى
كالارض والبحر لا يتلقى على نيكوس لقد اصططحته ديدوا الى الشاطئ»
«ديدون لكر»
نهض السيد كرفيليس من وراء مكتبه وراح يدور حولها ويقول: «انتى
فى مثل اوضاعك، من الطبيعى ان تكونى حياتك لأنك، لكن لا ترتكبي خطأ
رعايته، يا ستاسى يوماً ما سيصبح رجلاً وعليه أن يتعلم الاستقلال من الآن

نصاعداً. سيمضى ساعات النهار مع ديدو او مع خادمة اخرى. وفى مرة
اخرى، تتناقش معاً عن مستقبله. وإذا احتجنا الى مربية خاصة له، فارجو ألا
تترددى فى اللجوء اليها»
قالت برهة مذهولة، ثم قلت فى لهجة هادئة
«كنت افضل أن تسألنى رأسى فى ما يتعلق بنيكوس... لم اكن اعرف انى
كنت احتضنه»
اشتم السيد كرفيليس قليلاً وقال:
«لا طبعاً، لكن هذه احدى سينات عاطفة الامومة سبق لى واختبرت ذلك ان
والدة الكسيس تصرفت مثلك مع ابنها لذلك اصبح انساناً صعباً لا ينصاع
لاوامر احد»
حدقت فيه بمرارة وقلت:
«كان الكسيس مستقلاً تماماً ليغادر ميلانوس ويعيش كما يروق له، برغم ما
تسميه تعلقه الكبير بوالدته»
اجابنى فى صوت جاف
«هذا يختلف، لأن والدته توفيت باكراً»
كنا ننظر الى بعضنا بنظرات غريبة كأننا عدوان. ارفض الخسوع لعينيه
الهديديتين. كنت غاضبة على مثل هذا الانسان الذى يسمح لنفسه بانتقاد
افعالى.
«المعذرة، كنت اريد فقط مساعدتكما، انت ونيكوس، ان اعظم امنية لدى هى
ان اراه يقربى. لانغضبي فانت لن تكونى بجانبه باستمرار، يا ابنتى العزيزة
سوف تتزوجين مرة ثانية. لذلك خففى من تأثيرك على نيكوس، سوف يفهم انه
لن يظل الانسان الاول فى قلبك»
قلت فى صوت خافت
«سيظل دائماً الاول، ولا احد فى امكانه ان يحل مكان الكسيس»

هز رأسه وقال:

«نعتقد ذلك الآن. انت مثل زهرة غمرها الجليد. فدت براعمها ميتة. لكن الربيع لا بد ان يزهر من جديد.»

دق الباب فقال كرفيليس:
«ادخل»

ظهر على عتبة الباب شاب يضع نظارتين ويحمل حزمة اوراق في يده. فقال مستغرباً:

«المعذرة. ياسيدي. ربما جئت باكراً.»

«لا. يا بنيائيدس. لقد انتهيت حديثي مع السيدة كرفيليس. ستاسي. انت لاتعرفين سكرتيري السيد بنيائيدس. اقدم لك أرملة الكسيس.»
انحنى الرجل القصير وقبل يدي ثم رفع رأسه وقال:
«تشرفنا»

فتح السيد كرفيليس الباب وقال:
«سنلتقي على الغداء.»

«نعم.»

خرجت غاضبة برغم لطفه واطرائه. ليس له اي حق في اتخاذ قرارات تتعلق بنيكوس. وكذلك هو مخطيء في اعتباره اني احتضنه. كل ما اريد هو ان اراه يشعر بالاستقرار والامان الى حين يصبح في سن المسؤولية.»

القيت نظرة الى ساعة يدي. انها الساعة الحادية عشرة والربع. في مثل هذا الوقت يتناول نيكوس عصير الفاكهة برفقة ديدو.

ليس لني اي اعتراض على الفتاة. الم اترك نيكوس مزاراً مع السيدة باتس أو في دور الحضانة في انكلترا؟

خرجت من الفيللا وذهبت امشي في الساحة. كان بينروس يغسل السيارات. ابتسم وهمس في تهذيب:

«صباح الخير.»

نزلت بهدوء في اتجاه رائحة الصنوبر. ومررت قرب اشجار الزيتون. والرمال وما ان وصلت قرب مسكن الحارس. حتى سمعت صوت محرك سيارة. اقتربت مني سيارة جيب. رجعت الى الوراء لأدعها تمر. لكنني دهشت حين رأيت مايك هاردينغ ولحيته النارية.
«ستاسي. انت هنا؟»

«مايك»

اطفاً المحرك وهبط من السيارة وقال:
«ماذا تفعلين هنا؟ واين نيكوس؟»

«انه على الشاطئ. وانا خرجت للتنزه.»

«في هذا الجو الحار المقروض ان تكوني في البحر في الماء. سأعيدك الى الفيللا.»
كان يحدق بي بعينه الزرقاوين ثم قال:

«انت شاحبة اللون. هل حدث شيء ما؟»

«لا شيء. يذكر. شكراً. سأعود معك.»

وضع ذراعه حول كتفي وساعدني في الصعود الى الحبيب. ثم جلس مكانه ونظر الى وقال وهو يشير الى رزمة اوراق ضخمة موضوعة في المقعد الخلفي:
«لم أكن أتوقع رؤيتك. جئت لأقوم ببعض الاعمال الموكلة الي.»
ثم ابتسم وقال:

«اني ادعوك لتناول العشاء معي.»

كنت سعيدة مع مايك. متحررة من أية مراقبة.

«اني اقبل دعوتك. شكراً.»

«حسناً. هل يناسبك مساء غد. أو تفضلين بعد غد؟»

«لا. عظيم. ان عمي ينتظر بعض المدعويين بعد غد ويفضل أن أكون بقربه.»

نظر الى مايك وسألني:

«ماذا يجري؟ ألا يفرحك هذا؟»

«أه، بلى لكن كنت على حق... بالنسبة الى فازيلي، انه يحب التسلط على الجميع.»

«هل اصطدمت معه؟ هل يحين ان تتكلمي عن هذا الامر معي؟»

«كلا ليس هنا المكان المناسب.»

«حسنا، سأتي غدا في الساعة مساء وأخذك لتتناول طعام العشاء في تيفيتوس.»
«هل هي العاصفة؟»

«نعم. والمرفأ الأساسي انها تبعد ثمانية كيلومترات عن المطار سأستقل سيارة متينة. هيا بنا الآن، إن فازيلي يحب الدقة في العمل.»

وصلنا الى الساحة فنزلت من السيارة، وظل مانيك متمسكا بيدي بركة طويلة.

«لا يمكنك ان تعرفي كم أنا مسرور لقبولك دعوتي الى اللقاء في الغد. قبلي نيكوس عني ولا ترهقي نفسك.»

«أعذك بذلك.»

«الى الغد، الساعة السابعة.»

توجهت لتوي الى غرفتي. وقددت على السرير ووضعت يدي تحت رأسي

وفكرت بمايك انه انسان لطيف ولا شك أنه واقع في حبي. وفكرت بالرجال

الذين التقيتهم بعد موت الكسيس لكن هل يمكنني أن أحب مرة ثانية؟

وتساءلت ما اذا كان تصرفي هذا ناجما عن رقصي لقبول موت الكسيس يبدو

لي وكأنه ذهب في رحلة طويلة وأنه ربما سيعود يوما.

لا هذا مستحيل حتى ولو كنت لا أزال انتظره في اعماق اللاوعي.

دخلت ديدو مع نيكوس فانتفضت.

«اعتبريني، ياسيدة كرفيليس، لم اكن اعرف انك عدت.»

«لا بأس ادخلي مع نيكوس شكرا ديدو.»

وبعد ان غادرت ديدو الغرفة، اقترب نيكوس مني واحاطني بذراعيه وقال:

«أمي، اين كنت؟ لماذا لم تأتي معي الى الشاطئ؟ سأخبرك قصة الدلفين التي

اخبرتني اياها ديدو هل تعرفينها؟»

«ضممت بين ذراعي وقلت:

«اضطرت الى البقاء مع جدك. هل لموت؟»

«أه، نعم، لديها اربع شقيقات وخمسة اشقاء.»

«اذهب واغسل يديك، ستخبرني القصة بعد قليل.»

وضع يده على صدري وقال:

«لا تتركيني، يا أمي.»

«لا، سنمضي النهار معا، لكنني من وقت الى آخر، سأتركك مع ديدو.»

«لماذا؟»

«ان حذك في حاجة الي.»

«اني افهم، عليك ان تكسي بعض المال ليمكثنا العيش، وما هو عملك الآن؟»

«اني اعمل لدى جدك، وفي المقابل تمضي عطلة جيدة. لن ابقي هنا الى الابد.

ياحبيبي.»

«انه مكان جميل هنا، اني احب شاطئ البحر.»

«نعم، وسنحاول ان نبقي اطول وقت ممكن. هل هذا ما تريده يا ابني؟»

«نعم، الى الابد.»

«لا اظن.»

ورحت اسرح شعره الناعم.

يخرجون من منازلهم ويلتقي الشباب من الجنسين. انه اجمل وقت في النهار. لأن الحرارة تخف.

رجل قصير، عينيّن ثاقبتين ولحية سوداء ضخمة. وقف خلفي قال وهو يتحنن باحترام:

«مساء الخير. ماذا تريدان أن تأكلان؟»

طلب مايك وهو ينظر الى لائحة الطعام:

«لارندا أي هير السمك المقدد المنقوع بزيت الزيتون، وسودوكاكيا أي أقراص لحم مثبلة بالبهار ومطبوخة بالبندورة.»

ثم قال لي:

«لدي مفاجأة لك. ان عرابتي ترغب في التعرف اليك. ووعدها بأن اصطحبك الى عندها.»

«عرابتك؟ هل تسكن هنا؟»

«نعم. لقد سبق وحدثتك عن والدي. جاء الى هنا. خلال الحرب. مع الجيش النيوزيلاندي. ولما اضطر الجيش الى الانسحاب امام الالمان. هرب جزء كبير من الرجال نحو جزيرة سيكاتوس القريبة من هنا. ثم ذهب بعض الجنود الى تركيا والبعض الآخر الى مصر. ساعدت عائلة ماريا بالموس والذي على الحرب نحو جزيرة كاسترو وبعد انتهاء الحرب. عاد الى ميلانيتوس وسكن في بيت ماريا وزوجها. اسمها اليوم السيدة فانتيريس. ولما ولدت كانت عرابتي.»

«السيدة فانتيريس؟ لقد سمعت بهذا الاسم من قبل. اليست ممثلة؟»

«كانت مغنية اوبرا مشهورة. لكنها الآن متقاعدة في فيللا اثينا التي تقع في منتصف الطريق بين العاصمة وفيللا مارمارا. ان عمتي ماريا تتمتع بطبع نادر وغريب. سوف تعجبين بها.»

«هل تسكن عندها؟»

«كلا. ليس لأنها غير سخية. انما لأنني احب أن احافظ على حريتي. لوحدي.

٣ - سندريللا ومهامها

قرية تيفيتوس قائمة على سفح تلة. شاهدها من الطائرة. بمرفأها الحيوي وكنيستها الصغيرة البيضاء الواقعة على رأس السد. الطرقات تبدأ من البحر صعوداً الى القسم والسفوح. والبيوت مبنية على هذه الارض المتدرجة الارتفاع اختار مايك مقهى قريباً من المرفأ. بسيطاً ويطل على مناظر ساحرة داخل المقهى طاولات مزينة بالالوان الزاهية وتندلج من سقفها جذائل الثوم والبصل. قال مايك وهو يجلس امام طاولة محجوزة على شرفة صغيرة تطل على الشارع:

«هذه هي الناحية الاصلية والبدائية للجزيرة. ستنذوق الاطعمة المقلبة والحارة التي هي كناية عن رخوية ذات عشر اذرع تفرز سائلا أسود كالخمر لا تحكسي مسبقاً على الامور. إن الطعام لذيذ جداً وستخبرين ذلك بنفسك. او ربما تفضلين سمك الاتشوفة؟»

ابتسمت وقلت:

«سأدعك تختار الطعام بنفسك.»

ورحت اتأمل الناس الذين يتنزهون على شاطئ البحر.

«يا لهذا الجمع الفقير. من اين هم اتون. والى اين ذاهبون؟»

«انه السيرياني. وهذا ما يحصل كل مساء وخاصة السبت والاحد. الجميع

هذه الفكرة فأجاني بيرو:

«أنت حرة في الذهاب والاياب، لكن حاولي أن تعودى باكراً»

شعرت حينذاك وكأنني خادمة عتيبة لا تطيع الاوامر واجتته قائلة:

«شكراً اذا كنت لا ترى مانعاً لذهابي فأجاب لامانع لدى. ان مايك شاب مناسب وانا سعيد لأن تخرجي معه. لكن، كما سبق وقلت لك، فقد توقعت لك التسلية...»

قطع مايك هذا الصمت قائلاً:

«انى اقوم بوضوح الآن لبس فازيلي انساناً متحمساً. يريد أن يحتفظ بك داخل اطار اصدقاء ال كرفيليس»

«انى خشيعة عليه أما بالنسبة اليك، ألا يمكن ان يودى ذلك الى...»

«من أجل عملى لا لن يغير ذلك شيئاً. انه في حاجة ماسة الى، خصوصاً، في هذه الفترة»

ترك يدي ونهض قائلاً:

«هيا بنا الآن»

كانت المصاييح الكهربائية الممدودة على طول الشاطئ تعكس أضواءها على مياه المرفأ.

«البيوت ترتفع حتى القمة. انظر الى هذه الشوارع المتعرجة. هناك في الاعالى»
«في العصور القديمة كانت القرى مبنية في اعالى التلال وذلك من اجل مقاومة العزاة. وفي حال الهجوم كانوا يملأون المرافق بالرمال. ثم في القرن التاسع عشر، أشيد السكان من جديد الى الساحل البحرى. لذا كل المدن بنيت هكذا. في اسلوب فيكتورى بالنسبة الى الاسلوب الكلاسيكى»

وعندما ابتعدنا عن القرية، كانت الطريق تتصاعد حتى قمة التلة. وعلى علو معين اوقف مايك السيارة وقال:

«نحن الان على جبل زيغوس وراءنا الى اليسار مدرج المطار الخاص، وامامنا

أعمل لمدة ساعات عديدة وعندما اشعر بالتعب، افضل ان اكون وحيداً. انى اتقاسم شقة مع صديق لى»

«منذ متى وانت هنا في الجزيرة؟»

«منذ ١١ شهراً. وسأبقى أيضاً لمدة سنة أو ربما اكثر. ان مشاريع فازيلي مازالت في بدايتها. ولم نبدأ بعد بالعمل في شارنوس»

التفت نحو المرفأ وقال:

«كل شيء يبدو زاهياً وملوناً، لكن الناس يمرون بأوقات عصيبة والحياة تبدو صعبة لهم. الوظائف قليلة والشباب يهاجرون. يريد فازيلي انشاء مشاريع جديدة لتوظيف العاطلين عن العمل ويعتقد ان السياحة هي الحل الصحيح»
«شرط ألا تؤدي مشاريعه الجديدة الى تشويه المناظر الجميلة»

«أه، لا تخافى، ان فازيلي سيأخذ في الاعتبار كل هذا. لكن لا يجوز ان يبقى البلد متخلفاً، بحجة المحافظة على الآثار»

قلت وانا اضع الشوكة في الصحن.

«نعم، افهم الآن ان الطعام وفير، وهذه الصالصة لذيدة الطعم»

«عظيم. أمل ان تروقك تزهة قصيرة. علينا التحرك. ارادت عمى ماريما أن نتناول العشاء في منزلها. لكن قلت لها انك الليلة ستكونين لى وحدى. فوعدها ان تأتي لتناول القهوة. هل هذا يناسبك؟»

«تماماً»

وضع يده في يدي وقال:

«اعتقد اننا بدأنا نعرف بعضنا البعض»

أنوار الليل تعكس على شعره ولحيته النارية، فأصبح يشبه رجال الفايكنز.
«انا سعيدة الآن لكن يجب ألا اعود متأخرة الى فيللا مارمارا»

«هل كان فازيلي متضايقاً لأنك خرجت معى؟»

بقيت لحظة صامتة. وذكرت استقبال فازيلي البارد عندما طرحت غلب

الطريق التي تؤدي الى قبلا مارمارا. وفي منتصف الطريق ستعطف كي تصل
الى منزل عمتي ماريا، الواقع شرقي الجزيرة.
كان هواء المساء منعشاً. وكنت انتشفة في لذة وارتياح.
«يا له من أريج لذيذ»

«المكان مزروع بالنباتات المعطرة: الزعتر والمردقوش والساق مجب العودة هنا
عندما تكون الشمس في الوسط حينئذ يكون غير العطور أقوى»
«هذه الجزيرة رائعة حقاً»

«صحيح» اني سعيد لأنك جئت الى هنا. وكذلك سعيد لأسباب أخرى أيضاً...
تناول يدي الموضوععة على ركبتى وقسك بها لبرهة طويلة وقال:
«كم من الوقت مضى على وفاة الكسيس»
تهددت وقلت:

«ثلاث سنوات»

احنى رأسه وقال:

«وهل احببته كثيراً»

«نعم»

«كننا ما نزالان شابين عندما حدث ما حدث. كم مضى على زواجكما»

«أقل من سنتين. كنت في الواحدة والعشرين عندما توفي»

«ستاسي... سوف تتزوجين يوماً ما. اليس لديك صديق أو خطيب»

ادرت رأسي فالتفت نظراتنا

«مايك، أنت أول رجل أرضى بأن اخرج معه منذ وفاة الكسيس»

ظل صامتاً لحظة. كأنه ذعر

«لا يمكنني تصديق ذلك. أنت امرأة رائعة الجمال»

«من وقت الى اخر كنت احضر سهرة بعض الاصدقاء، لكنني رفضت جميع

الدعوات. لم يكن في امكاني نسيان الكسيس»

ادرت رأسي ورجت أهدق في الافق والجبال السوداء وجود السماء.
«كنت اعرف اني غير قادرة على الوقوع في الحب مرة أخرى وكذلك لم اكن اريد
ذلك. لم أرغب في تدنيس ذكرى الكسيس. كان لدي ليكوس ومهتي»
امسكتني مايك بذقني وقال:

«انت لاتزالين في الثالثة والعشرين. وقد احببت الكسيس وكنت سعيدة معه
لكن ليس في وسعك البقاء هكذا. يجب ان تستمرى في الحياة وتتعمق الى رجل
آخر وتحبينه»

وضع يده على فمي وقال:

«في الحقيقة، اعتقد أنني واقع في غرامك»

«لا، يا مايك. أرجوك. لست مستعدة لمثل هذه الامور»

«بعد ثلاث سنوات؟ ثلاث سنوات من جفاف العواطف؟ وماذا لو عانتك؟»

كنت جامدة لكنني ابعدت وجهه عني وقلت:

«لا، يا مايك. أرجوك»

ابتعد عني وقال:

«اعذريني، يا ستاسي. لا اعرف ما الذي طرا على ابني اناني. حان الوقت لأن

تذهب الى العممة ماريا»

وسرنا في السيارة صامتين. كان مايك يلقي نظرات سريعة إلى، وأنا كنت

مكاني جامدة شادة على يدي لأصنعها من الارتجاف.

«لقد أسأت التصرف. أرجوك ان تسامحيني. قولي ان ذلك لن يؤثر على صداقتنا»

«ليست غلطتك، يا مايك. انما غلطتي انا، لأنني... لا اعرف... اخاف ان اكون

مختلفة...»

«يا فتاتي المسكينة... سوف تتعلمين على كل ذلك، عما تمريب»

انعطفت السيارة وذهبت بين سياجن من حديد.

«وصلنا»

فيللا اثينا لانتسبه أبدأ فيللا مارمارا. فالثانية متعشة وكلاسيكية وشكلية
في انافتها. اما الاولى. فتعج بالزخرفات والزينة والتزويق. الاثاث ضخمة وثقيل
وهو خليط من الطراز الادواردى وطراز لويس الخامس عشر. الألوان تنموج.
ووسط هذا المكان الجميل. تنصدر السيدة فانتيريس. انها جميلة. جامدة
كالتمثال. شعرها الاسود مرفوع الى الوراء في كعكة مجدلة وعيناها تلمعان
كاللؤلؤ الذي يتدلى من جانبي خديها الاحمرين. كانت ترتدي الحرير الليلكي
الذي يتطاير حولها مثل غيمة كبيرة.

قالت في صوت رنان وعميق:
«كم أنا سعيدة لاستقبالك هنا. انتظرتك ليس فقط لأن مايكل حدثني عنك.
لكن لأنك عضوة في عائلة كرفيليس. في كل حال. كنا سلتقي عند فازيلي.
لكن أفضل ان تلتقي هنا ببساطة وبلا رسميات»

وضعت يدها على ذراعي وتابعت:
«تعالى الى التور. يا ابنتي. كي يتسنى لى تأملك»

اخذتني الى قاعة الاستقبال المضادة بالفناديل ذات الشعلة المتأرجحة.
«يا للونك الرائع. كنت دائماً أحلم بأن املك مثل هذا الشعر. وهذه البشرة بلون
أزهار الورد. احذري الشمس وضعى قبعة. حسناً. لتجلس وتحدث»

جلست في مقعد مريح مغلف بالقماش الحريري المنقلم وجلست في مقعد مواجه
لها. ظهر الخادم حاملاً صينية عليها غلاية القهوة التركية وبعض الفناجين
الصغيرة وحلوى مصنوعة من العسل والجوز.

اشعلت السيدة فانتيريس سيكارة تركية وانحنت الى الامام وقالت:
«هل في امكاني أن ادعوك ستاسى؟ شكراً. عندك ابن على ما اظن. حدثيني
عنه. ما اسمه؟»

اخبرتها عن نيكوس ووصفته لها ورحنا نتكلم مثل صديقين متعارفين
من زمان.

«لقد عرفت الكيس تماماً. كانت الموسيقى شيء مشترك بيننا عندما كان
صغيراً هو يعرف على الناي من أجل. وانا ارافقه على الفيثارة. كان ولداً رائعاً.
يشبه والدته كثيراً. اما بول. فيشبه والده»

تكلمتا عن أشياء كثيرة ومختلفة وعن الحرب.
«ان الحرب هي التي جعلتني أتعرف الى والد مايك. وأصبح عرابه ابنه»
ثم حان وقت الذهاب. فقال مايك:

«يجب أن نذهب الآن. يا عمتي ماريا. ستاسى وعدت بالآ تعود متأخرة الى
فيللا مارمارا»

نهضت السيدة فانتيريس في رشاقة غريبة وقالت:
«نعم. ان ستاسى ضيفة السيد فازيلي ويجب ألا تتأخر هل بول هنا؟»
أجاب مايك:

«كلا. إنه في اثينا. أوصلته في الاسبوع الفائت الى العاصمة اليونانية وسوف
يعود في الباخرة»

«كيف أصبحت عينه؟»
«إنه يرى جيداً الآن»

ودعت السيدة فانتيريس التي وضعت قبعة على خدي وقالت:
«في المرة المقبلة. ستأتين الى العشاء. لكنني سأراك من دون شك عند فازيلي»
وفي طريق العودة سلكنا الطرقات المعتمنة وفي سرعة وصلنا الى فيللا
مارمارا.

«لا يمكنني أن أقول لك الى أى درجة أعجبت بهذه السهرة. يا ستاسى»
«انى اشكرك على هذه السهرة. أحببت عرايتك جداً»
اخذ يدي وقال:

«موهل ساحتني لتصرفي الحاطي؟ هل تقبلين دعوتي مرة أخرى؟»
«نعم»

«حسنًا. يجب انتظار ذهاب المدعوين عند فازيلي قبل أن نحدد موعدًا آخر
لكني سأعد الأيام».

حدد بي طويلاً ثم اضاف:

«الى اللقاء. يا ستاسي».

شد على اصابعي ثم اقلتها ليفتح لي الباب

«الى اللقاء. يا مايك. وشكراً».

دخلت الى الهوى لا أحد. ولا حتى الخادم. باب مكتب فازيلي مفتوح
والغرفة مظلمة. دخلت الى قاعة الاستقبال الفارغة. وترددت كم تبدو لي هذه
الفيلا غريبة.

صعدت بهدوء الى غرفتي. كان باب غرفة نيكوس مفتوحاً. تقدمت على
رؤوس اصابعي. خوفاً من ايقاظه. كان نائماً على بطنه. ويداه تحت رأسه. وشعره
الناعم مرفوع كالاجنحة. تحرك قليلاً ثم وضع رأسه على المخذة.

اغلقت الباب وأقلنت شعري وخلعت ثوبي. وكنت افتح باب الخزانة عندما
سمعت طوقاً على الباب. وضعت منزعجاً بسرعة كأنه فازيلي هو القادم. لكن
بول كان أمام الباب بقامته الطويلة ومن دون رباط على عينيه وحول
ذراعه.

«انى أسف لازعاجك في مثل هذا الوقت المتأخر. كنت في الحديقة اشعل
سيكارتى الاخيرة واذا بي ألمح الضوء داخل غرفتك».

«لا بأس. لكن... نيكوس نائم ولا أريد ان... لقد وصلت الآن لتوي. بحثت عن
والدك. لكني لم أراه».

«والذى يلعب الشطرنج مع صديق قديم له وهو طبيب متقاعد. طلب مني ان
اعذر لك لأنه لن يعود قبل منتصف الليل. وكذلك أريد ان اقول لك اننى
احضرت الملابس وسيكون والدى سعيداً اذا راك تردين واحداً منها في الغد.
وقت الغداء».

«الملابس».

نظرت اليه مستغربة وتابعت اقول:

«لقد طلبت من ديدو أن تعلقها في خزانتك. واعتقد أن كل شيء مكانه».
«نعم. شكراً».

«عليك أن تجربها. لأنها اذا لم تكن تناسبك. فتكون الغلطة غلطتى انا».
«كنا نتكلم في المر بصوت خافت كأننا متاعبان. فقلت:

«ادخل لريحة قصيرة. لكن اياك أن تحدث اية ضجة».

دخل وانتظر في صمت بينما ذهبت الى الخزانة وفتحت احد مصراعها الاقمشة
لغير العادية لفتت انتباهي. فساتين من الحرير والقطن والكتان. للسهرة ولكل
المناسبات. القمصان والبذلات والمآزر ومعطف من الفرو.
فقلت في مرارة:

«انكم تعاملوننى مثل سندرللا».

«لا تقولى هذا. النساء يعجبن بالملابس الجميلة. وهذه المبادرة بأمل والذى أن
تكونى سعيدة».

«لا اعتقد ذلك. يريد والدك أن اظهر بمظهر جيد أمام اصدقائه. لكنى اقبل هذه
المبادرة وكذلك مبادرتك».

رمقت بنظرة استغراب رافعاً حاجبيه. وجدته يشبه الكسيس بشدة. وعيناه
بداناً تزعجاننى. حدثنى في لطف وفي صوت اشد عمقا.

«ستاسي. كونى متساهلة. على الاقل مع والدى».

ابتلعت ريقى بسرعة.

«سأحاول. اعذرني اذا اخطأت. لكنك فمت بجهد من أجل».

«هذا لا شيء. كان يكفي أن اصفك. طويلة. نحيفة. ذات عتتين خضراوين
وشعر نارى».

توقف فجأة وراح يحدق في بغرابة. كنت أرتدى منيرا باليا من الحرير الازرق

المطرز بالخيوط الذهبية. لقد أهداني أياه الكسيس في عيد ميلادي. والآن أصبح قديماً وباليًا. ورغم هذا ما زال المنزر صالحاً وجميلاً. وشعري الذي يكون عادة مرفوعاً، انسدل على كتفي. رفعه بول بيده ثم تركه ينسدل من جديد. وقال بلطف ونعومة:

«لم اكن اعرف أنك تملكين شعراً بهذا الجمال. انه كالشعلة. وانت مختلفة تماماً. وافقة هنا. ان وصفى لك كان مخطئاً. قلت انك شاحبة وباردة ومتقلصة ولما التفتيت بك للمرة الاولى كان رأسك ملفوفاً بالضادات».

وضعت يدي على فمي وقلت:

«أذن انت من جاء الى المستشفى؟»

«نعم. بعد الدفن مباشرة. جئت لأزورك في المستشفى وحدثك. لكنك لم تكوني تتعرفين الى أحد».

فجأة انضعت لي نقطة وقلت:

«اني اذكر صوتك. عندما حدثتني هنا. للمرة الاولى. وكنت متأكدة أنني سمعت هذا الصوت من قبل».

«من الصعب تصديق ما حصل. كنت غائبة عن الوعي أياماً عديدة. هذا ما قالته لي الممرضات».

«لكن صوتك بدا لي أليفاً».

«ربما لأن صوتي يشبه صوت الكسيس».

«كلا. لكنك تشبه كثيراً».

«كما تتبادل النظرات كأننا نحاول التعرف الى بعضنا. وفجأة شعرت بارتباك».

«من الأفضل أن نغرق الآن. سنوقظ نيكوس».

«نعم. بالطبع».

توجه نحو الباب وقال:

«تصبرين على خير. يا ستاسي».

للمرة الاولى أراه يتنسم. وبدأ وجهه منيراً. ثم اضاف يقول:

«استفيدي من هدايا والدي وارتيديها في فرح».

اجبته في ابتسامة صريحة.

«سأفعل ما في وسعي. شكراً».

اغلقت الباب بسرعة وراءه وبقيت برهة طويلة مستندة ظهري إلى الجدار. ان بول يشيرني هل لأنه يشبه الكسيس؟ هل يجب أن أعيش مع احلامي ومع الذكريات؟

لجمت افكاري وهرعت اخلع ملابس. لم التق نظرة على الملابس الجديدة كأنني اريد ان اطرد من مخيلتي رؤية بول وهو يختارها لي.

اطفأت النور واضأت القنديل القريب من السرير وقددت ورحت أتأمل منزلي الحريري الممدد على المقعد. ثم اطفأت القنديل ايضاً. وفتحت الباب الزجاجي وخرجت الى الشرفة واستندت بذراعي الى الدرابزين ورحت اصغي الى هدوء الليل وحركة الأمواج التي تلنظم بالشاطئ. والصخور والاصفاد السهاء من دون فم وتبدو شديدة الوضوح فوق البحر المتوهج.

الجمود والسكون والسلام كلها ساعدتني على تهدئة اعصابي. عدت الى السرير غير قادرة على النوم. فكرت بمايك ومحاولته معانفتي. اني احترمه كثيراً وأكن له مودة كبيرة. فكرت بالسيدة فانبريس وبفيلتها الفاخرة. وفكرت بنيكوس وبالمدعوين الذين سيأتون غداً.

لكن. لم اكن أريد التفكير. بيول...

أخيراً نمت نوماً عميقاً.

ابفطني نيكوس باكراً وهو يصعد الى سريري ويقول:

«امي. في البحر باخرة كبيرة. وصلت خلال الليل. انها ترسو في المكان الذي نسيح فيه. في داخلها عدد كبير من الناس. وعليها أعلا. انظري».

تفاءت لكنتي نهضت من السرير وخرجت الى الشرفة ورأيت يفتاً كبيراً رائعاً
ابيض، يرسو في المياه الشفافة. في داخله الرجال في بذلاتهم يذهبون ويحبسون في
حركة دائمة.
قلت له:

«إنها باخرة اصدقاء جدد. سيتناولون طعام الغداء معنا. سنتصرف جيداً ولا
تنسى أن تحييتهم».

«هل في امكاني أن أصعد الى هذه الباخرة؟»

«ربما لكن، في الوقت الحاضر، اذهب واغتسل وارقد ملابسك. وبعدها ننزل
لنتناول الفطور».

نادراً ما نتناول فطور الصباح برفقة فازيلي وليدا. كان نيكوس شديد
التوتر غير قادر على أن يبقى في غرفته. يريد أن يرى ويعرف ويلعب في الحديقة
ويتكلم مع بيثروس ويذهب الى المطبخ بحثاً عن ديدو، وانجلوس
وستراتوس... الجميع أصبحوا اصدقاء. ولم تعد اللغة حاجزاً لا يمكن عبوره
واحياناً كان مسروراً في ترديد الكلمات اليونانية.

ولدهشتي، كان فازيلي في انتظارنا.

«صباح الخير، يا عزيزتي. صباح الخير، يا نيكوس».

لكنه فظ من حاجيه عندما رأي ارتدى بنطلوناً ابيض وقميصاً قطنياً فلم
اشعر بالشجاعة الكافية للبحث عن شيء ارتديه من محتويات الخزانة.

«صباح الخير ان نيكوس اليوم لا يبدأ لحظة. بعد فطور الصباح يريد الذهاب
الى الباخرة».

«سيذهب الى الباخرة في وقت لاحق. سنهتم به. ديدو اريد ان اراك مرتدية
ملابس اكثر اناقة لاستقبال المدعوين الذين سيصلون في الحادية عشرة
والنصف. أمل ان تكون الملابس الذي احضرها بول على قياسك».

«إنها... إنها رائعة. اشكرك يا سيد كركيليس».

به شقيقه وقال:

«فازيلي، نادني فازيلي. حسناً اني سعيد لأن اقترحك هل قدم بول لك
اعتذارى عن مساء امس».

«نعم. لقد رأيته مساء امس، عند عودتي».

«لا شك انك امضيت سهرة جميلة برفقة مايك».

«نعم، شكراً. لقد قدمني مايك الى غرابته».

«او، يا لها من فكرة جميلة. ماريا امرأة رائعة وذكية. ستريتها مساء غد، لأنها
ستتضم الى حفلتنا. لقد ذهب بيثروس الآن ليدعوها».

كان نيكوس متعلقاً بذراعي:

«والآن اعذرنا لأننا سنذهب لتناول فطور الصباح».

«لا تنسى يا ستاسي الساعة الحادية عشرة والنصف».

«ساكون مستعدة».

جلست لنا ديدو القهوة والسندويشات وبدأ حر النهار. لكن اشجار الحديقة
تساعد على انعاش الجو. قال نيكوس:

«هيا بنا، يا امي. الى الشاطئ».

«لكن، لا يمكنني. يا حبيبي. ألم تسمع ما قاله جدد. سنأخذك ديدو الآن».

تسحب وجهه وقال في عناد:

«لا سأظل معك».

«إذا برزت الى الشاطئ، فلا يمكنني البقاء هناك معك. حسناً ساتي. لكن ديدو
ستبقى معك».

«نعم. لكن تأييد أنت معنا الآن».

اطلعت ديدو على فراري وطلبت منها أن تبقى مع نيكوس الى أن يحين
موعد وصول الضيوف.

كان الصباح رائعاً. والبحر هادئاً والسماء زرقاء والاشعة كاملة. والجزر البعيدة

تبدو قريبة جداً. وفي المنظار المكبر يمكن رؤية الجبال والبيوت والأشجار
أرغمي نيكوس في الماء بشير بأصبعه إلى اليخت ويتحدث مع نفسه أنه
الآن في صحة جيدة. وقوى ولوحث الشمس بشرته.

وصل ستراتوس بدلاً من ديدو التي كانت عاجزة عن المجيء. فعهدت
إليه نيكوس وصعدت بسرعة أملّة عدم اللقاء بفازيلي. لمحت أنجلوس
وديدو منهمكين في تحضير مائدة الطعام. سمعت أصواتاً وصوت ليدا
العذب. في مكان ما ورائي

ومن دون توقف. صعدت إلى السلم متجهة إلى غرفتي لكن بول اعترض
سبيلي وقال

«إلى أين تركضين. بهذه السرعة»

سقطت في الفخ

«أسفة. على أن أبدل ملابس والدك في انتظارى في الساعة الحادية عشرة
والتصف»

«لكن أمامك أكثر من ساعة»

«اعرف. لكن»

لم أرغب في الشرح له مفصلاً وأقول أنني لم أجرب بعد الفساتين وأريد أن أخذ
وقتي في اختيار الفستان المناسب

«أي فستان سترتدين اقترح عليك ارتداء الفستان المذهب. لقد اخترته بنفسى
ويناسب لون بشرتك»

كان ينظر إلى بالحاج. نظرت إليه برهة أحرق في عينيه اللتين تشبهان عيني
الكسيس. وبشرته الناعمة وفكه القاسى. لكن ملامحه أشد تساوة من ملامح
الكسيس

«لماذا تنظرين إلى هكذا»

«أنا... أنت... أنك تشبه كثيراً»

«هذا مديح. هل أحبته كثيراً»

أزحت نظري وقلت:

«نعم»

امسك ذفتى وأجبرني على إدارة وجهي نحوه من جديد. ثم حرق لي عيني
وقال

«كنتي سعيدة. لقد أتيت إلى ميلانوس لتبدأي حياة جديدة. ستزول الظلال
تدريجياً»

بقينا بلا حركة. برهة طويلة

«والآن. يجب أن اذهب وألا تأخرت عن الموعد»

هرعت إلى غرفتي وما أن وصلت حتى قررت ألا أفكر بهذه اللحظة التي
مرت مع بول

وعندما فتحت الخزانة. تذكرت كللثائه. انصحكك بارتداء الفستان الذهبي. أين
الفستان الذهبي؟ فشتت بين الفساتين وأخرجت فستاناً حريرياً في لون الشمس.
أنه بسيط وناعم. ارتديته وكان على قياسى وبلق بي. حولنى إلى امرأة أنيقة
مختلفة عن المرأة العادية التي كنت. رفعت شعري ببعض الدبابيس ووضعت
الزينة على وجهى والخمرة وانتعلت هذا يلائم الفستان. طرقت ديدو الباب
لدخل نيكوس. وساعدته ديدو في ارتداء بذلته البيضاء. ودمرحت له شعره
وعندما أخذت نيكوس بيدي. هزت ديدو رأسها وقالت

«كلا. يا سيدة كرفيليس. إن أوامر السيد كرفيليس تقول بأن نيكوس لن
يتركك إلا بعد وصول المدعوين وبعد تقديم الشراب»

«هل هذه حقاً أوامر السيد كرفيليس؟»

«نعم. سيدتى»

حاولت إخفاء حزني وقلت:

«ربما هكذا أفضل كن مهذباً يا نيكوس. بعد قليل سيرسل جدك وراءك»

ومرة أخرى شعرت بسلطة فازيلي على أنه يصدر الأوامر وعلى الجميع الطاعة حاولت جهدي كي أبدو لطيفة ومدحني فازيلي على ذوقه الرفيع. وبعد فترة وجيزة، وصلت السيارات أمام ساحة المنزل وبدأت المراسم كنت واقفة قرب فازيلي لاستقبال الضيوف هيلين موليه، سمر، يرافقتها زوجها الهادي، والطويل القامة، راوول أريلاي رجل قصير القامة وسمين، فمه الكبير واثقه الانفطس وعيناه السوداوان اللامعتان، كلها تشبهه بالقرد، لكن ينبعث منه شيء دافئ وجذاب السيد والسيدة ليثارد يشكلان زوجين مناسبين، وابنها جان قدم لنا خطيبته الشقراء.

ليدا و بول كانا حاضرين وبينسبان، وليدا تقبل اصدقاءها وتحديثهم باللغة الفرنسية ثم توجه الجميع الى قاعة الاستقبال وبدأوا يتكلمون اللغة الانكليزية. دخل انجلو يتبعه ستراتوس، حاملين صنيتين من الفضة وعليهما الزجاجات والكؤوس. وفي تلك الاثناء دخل نيكوس.

ركض نحوي وفي الوقت نفسه اقترب فازيلي وقال: «سأقدم نيكوس الى المدعوين. تعال معي، يا ابني».

تردد نيكوس، ثم اعطى يده الى جده بعدما رمقته بنظرة مطمئنة.

كان خجولاً لا يجرؤ على النظر الى الناس الجدد، لكنه تحلى بشجاعته وراح يسلم عليهم ويرد على استلتهم. كنت فخورة به. لاشك ان فازيلي كان فخوراً به ايضاً وسمعته يقول:

«أقدم لكم حفيدي نيكوس. ابن الكيس».

لكن، بسرعة فائقة بدأ نيكوس يقضم بعنف الحلوى المصنوعة من الجوز والعسل. فناديته بلطف:

«تعال الى هنا، يا نيكوس. بعد قليل سنجلس الى المائدة».

لكنه اقلت ووقع أرضاً رافعاً قدميه في الهواء.

وفي هدوء قلت له:

«لا تنصرف كالأبنة. انفض».

لكن فازيلي نادى ديدو لتجده الى غرفته بالرغم منه.

«لا اريد ان اذهب. اريد البقاء معك».

«لا، يا حبيبي ليس اليوم».

«تعال معي».

كان من المفروض ان اخرج معه فتوجهت الى الباب. فقال لي:

«والآن سنبقي معي».

واذا بفازيلي يقول:

«ارجو من المدعوين المعذرة لهذا المزاج المتقلب الذي يتحلى به حفيدي. انه ما زال

صغيراً. وانني أسف لأن والدته اهدت تربيته».

ان نيكوس لا يزال طفلاً، لكن فازيلي ينتظر منه الكثير.

ساعدت نيكوس على تخفيف دموعه وشجعته قدر المستطاع وسمح لي

بالعودة الى المدعوين شرط ألا ابقي معهم طويلاً. ولما عدت الى قاعة

الاستقبال، تساءلت كيف في امكاني ان التحلى بالشجاعة الكافية لأرضاء

فازيلي والأهتمام بالمدعوين واسعاد نيكوس في وقت واحد.

٤ - حديقة النعاس

كان الاسبوع رائعاً. وفي اليوم التالي دعى سكان فيللا مارمارا الى الغداء على متن يخت راوول اربلاي كانت فرحة نيكوس كبيرة وكنت امل فقط ان يتصرف جيداً أمام فازيلي.

ولحسن حظي ساعدني بول في ان يأخذ في جولة داخل السفينة. بينما كان الشراب يقدم في قاعة الاستقبال. وافق نيكوس على القيام بهذه الجولة في فرح كبير وخاصة مع العم بول. فراحا يكتشفان حجرة قائد السفينة والغرف وموضع المرحل ومكان طاقم السفينة. وفي الوقت المحدد. عاد نيكوس سعيداً وجلس في احد المقاعد الجلدية وراح يحتمي الليموناضة ويتأمل الجميع في عينين كبيرتين لماعتين.

كنت أرندي فستاناً ابيض محزماً بالحياوط البنفسجية وبرغم الاحتياطات التي اتخذتها. كانت بشرتي قد لوحنها الشمس قليلاً وانتشر بعض الشمس على انفي وخدي. لكن هذا لم يشوه وجهي. بل بالعكس. كان يليق بي. ان فازيلي على حق. الشباب تغير شكل الانسان تماماً.

اقتربت ليذا مني وقالت في لغة انكليزية لا بأس بها.

«أصبر على أن أمدح ثوبك هذا. ان الحياط يولاري عرف كيف يختار ازياءك. انت تبهدين رائعة جداً».

«شكراً»

تأثرت من هذا المديح. لكنني انزعجت من نظرة الاكتفاء التي تتحلل بها ليذا. شعرت وكأنني اشبه تمثالاً تعرض الازياء في الواجهات.

«فازيلي أصاب في وصفك. الثوب الذهبي الذي ارتديته بالامس كان مناسباً للون شعرك وبشرتك»

«اعتقد أن بول هو الذي قدم للحياط بعض التفاصيل عن قوامي».

تقلصت ليذا وقالت في استغراب:

«بول! لكن فازيلي هو الذي استشارني في ما يخص الحياط. كان يأمل ان يقدم لك هدية ومفاجأة صغيرة. كيف يستطيع بول أن يقوم بهذا العمل بالذات؟»

شعرت بحرج كبير. إن بادرة فازيلي تذلتني. فقلت:

«ربما للاستفادة من وجود بول في أثينا. وفي امكان احضار الفساتين معه لدى عودته».

وافقت ليذا على جوابي وشعرت بالاكتماء.

وفي المساء نفسه. أقام فازيلي حفلة استقبال دعيت اليها السيدة فاننيريس التي وصلت متألفة في فستانها المصنوع من الحرير الابيض والاسود. وحلفتان من الحجارة الكريمة السوداء تتدليان من اذنيها. وتاج صغير مرصع بالؤلؤ والماس في شعرها الاسود. وقد وضعت عطراً فرنسياً يتبعها في كل حركاتها.

لدى وصولها قالت مبتهجة:

«فازيلي. عزيزي. يا أعز الاصدقاء».

عانقها بحرارة ثم اخذ يديها وقبّلها في رقة وقال:

«ماريا! دانا رائعة الجمال. ولا حتى ظل تجميدة. سبق وتعرفت الى كنتي. ستاسي. على ما اظن. اليس كذلك؟ ألا تعتقدين انها تشبه حورية الغابات».

هذا المساء؟ هذا بول وهذه ليديا. والآن، سأقدمك الى المدعوين. انت تعرفين هيلين، صديقة ليديا الباريسية، واقدم لك اتيان موليه، زوجها. وهذا راوول اربلاي، أخوها....»

كان العشاء طويلاً وشكلياً، لكن الحديث كان منوعاً.

مرة أخرى شكرت فازيلي على سخائه. ارتديت لهذه الحفلة، فستاناً اخضر بلون الزمرد. لم يسبق لي أن ارتديت ثوباً يمثل هذا الجمال وهذا الثمن. القستان بعد ذاته بسيط لكن قصته رائعة. كنت اشعر وكأنني في حلم، امام هذه الطاولة الكبيرة وهذه الكؤوس الكريستال والصحون الفضية والشمعدانات والمزهريات الانيقة. قبل شهر فقط، كنت في ليفربول، امام البيض المسلوق والحبز والجبنه وانا لا اصدق ما ارى.

وفي غصة في القلب، فكرت بكل ما ترك الكسيس من جاه ليعمل خادماً في مطعم. أي شجاعة وأي تواضع. كان يبدو سعيداً لأنه قر من هذه الحياة التي كانت مفروضة عليه. كان يقول مردداً: انني حر لكن هل كان يقصد بهذا، سلطة والده، او اعباء المسؤوليات؟ كان يتحلى بمزاج بوهيمي عكس بول الذي يقوم بواجبه من دون تأثير والده، وهذا عائد الى طبيعه الاميركي، لأنه تربى وترعرع في جو كامل من الحرية.

بعد بضعة ايام، اقامت السيدة فانتيريس حفلة عشاء في منزلها. فساد فازيلي سيارته المرسيدس بنفسه واصطحب معه السيد والسيدة لينارد. بيروس استقل سيارة الجاكوار واصطحب معه اتيان وهيلين وسيلبيست وجان. وانا وجدت نفسي في سيارة ليديا التي كان يقودها بول، وجلست في المقعد الخلفي قرب راوول.

ولدهشتي، رأيت في هذا المساء مايك الذي استقبلنا مع السيدة فانتيريس التي كانت ترتدي فستاناً من الدانتيل الذهبي. ومايك كان يرتدي سترة بيضاء وبطلونا اسود وشعره ولحيته تلمعان تحت الانوار المنوعة.

قال مايك وهو يمسك بيدي:

«سأسي. انتظرت هذه اللحظة بفارغ صبر. انت رائعة حقاً.»

ثم خفض صوته امام المدعوين وتابع يقول:

«ساعدت عمتي ماريّا كثيراً، والآن سامضي وقتاً قصيراً معك.»

الى المائدة كنت جالسة الى يمين مايك وسيلبيست وجان الى يساره. كانا يتران معاً ولم ينشها الى اهتمام مايك الزائد بي. لكن مرات عديدة التقى نظري بنظرات بول الناقدة.

تناولنا القهوة على الشرفة. فوق البحر وفي الغرفة بعض الموسيقيين يعرفون الموسيقى اليونانية على آلات البيوزوكي والقيثارة. وكانت الالمان تضيف سحراً الى هذه السهرة الربيعية. والقمر يلمع في سماء مظلمة.

وبعد قليل بدأت الموسيقى تعرف لحناً فرحاً، فأخذت السيدة فانتيريس تصفق وتقول:

«والآن، ايها الشباب، ارقصوا واترحوا. ونحن العجزة، سنبقى مع نهوتنا وسكانرتنا.»

رقصت مع مايك، ثم مع اتيان وجان. ومع مايك من جديد. وليديا رقصت قليلاً بسبب الآلام في ظهرها، مع راوول ومع بول الذي بقي بعد الرقصة جالساً قريباً.

كل شيء كان رائعاً، في هذه القاعة الكبيرة. ولأول مرة منذ سنوات، اشعر بشي شابة، وحرّة.

ثم بدأ الموسيقيون الثلاثة بعزف رقصة زوربا. رقصنا في الصف، الواحد جنب الآخر متمسكين باكتاف بعضنا. رقصت ليديا الانضمام اليها. اما بول فاضطر الى الرقص بواسطة سيلبيست التي شدته بيدها واجبرته على الوقوف. أسرع الموسيقى واصبحتنا ندور أسرع فأسرع. ومن وقت الى آخر، يخف الايقاع كأنه يترك لنا وقتاً للتنفس، ثم يعود الى الاسراع من جديد.

بعد هذه الرفقة، شعرت بالتعب. كلنا كنا نضحك ما عدا بول. حديق بي
لحظة سريعة بينما كنت أحاول أن أرتب شعري رافعة يدي الاثنين. تمسك بي
مايك فوقعت عليه في حركة استسلام. لكنني استعدت توازني بسرعة
وابعدت مايك عني. فادار بول وجهه وتوجه نحو ليذا.

وأخيراً انتهت السهرة ونفرتنا واتجه كل واحد الى سيارته. فاخذني مايك
على حدة وقال:

«هل تأتينا مرة أخرى لرؤيتي؟ يمكنني أن أخذ يوم عطلة، في الاسبوع المقبل.
هناك هيكل قديم في الجزيرة، انه مكان جميل ويقع قرب شاطئ رانغ يمكننا ان
نتغذى في الهواء الطلق ونسبح في المياه العذبة. ما رأيك؟»

ترددت وقلت:

«اني احب ذلك. لكنني لا اعرف متى يرحل المدعوون. قبل ذلك سيكون
فازيلي في حاجة الى شكل اكيد.»

«جذد راوول رحيله مساء الاحد. ما رأيك لو حددنا موعدنا نهار الجمعة؟
سأتصل بك مساء الخميس.»

اني معجبة كثيراً بمايك. انه مرح ولطيف.

«اتفقنا. اشكرك.»

التفت ورأيت بول ينتظرني في سيارته وفي يده سيكارة فقلت:

«على ان اذهب الآن. الى اللقاء يا مايك.»

فوجدت ليذا جالسة في المقعد الخلفي قرب راوول. وانا بت مضطرة الى
الجلوس في المقعد الأمامي. قرب بول.

«اني أسفة. هل كنتم تنتظرونني؟»

قال بول بحفاف:

«أمل ألا تكوني قد اضطرت الى قطع الحديث.»

«كلا. كنا قد انتهينا الحديث.»

ومعنى بنظرة سريعة من طرف عينيه وأقلع بالسيارة.

«يبدو أن البريطانيين يجدون ذاتها شيئاً ليكون موضوع احاديثهم. او انه مغرم
بك «بساطه»»

«ان رفقته تعجني.»

«هل حدد لك موعداً آخر؟»

«انه يدعوني الى تزهة وغداء في الهواء الطلق قرب احد الهياكل.»

«هيككل هرمس. لم يبق منه سوى بعض الانار. لكن المنظر هناك رائع يستحق
الزيارة.»

قال ذلك وسكت واكملنا الطريق في صمت. كنت اسمع همسات ليذا
وراوول. انها صديقان قديمان.

بعد مرور يومين ارخت السفينة مرساها وتم الاتفاق على ان نذهب ليذا
مع هيلين وزوجها وبعض الاصدقاء في تزهة حول الجزر حتى جزيرة
رودرس اما نحن، فسندرج انا ونيكوس والسيدة فانتيريس والدكتور
سكيلانوس وابنة اخيه هرميون. على متن يacht فازيلي الاوسيانس.
قال لي فازيلي:

«سنعلم الرحلة. انها عطلة صغيرة وسيشعر بول اننا في الوقت المناسب إن
لديه اعمالاً كثيرة في الوقت الحاضر.»

اني مسرورة جداً.

بعد الحيا المزدحمة بين حمامات الصباح والتزهات في الخليج والبارين
الرياضة. بدت النهارات اكثر هدوءاً.

وعندما تسد حرارة الطقس ويصبح من المستحيل البقاء على الشاطئ. كنت
أستلجج نيكوس الى حديقة برسفوني. وكنا نجلس تحت ظلال شجرة اللفلل

أحدنا «سباح حريم المياه وننشق غير ازهار اللالودة والصغير

الى ايامه احد هذه الالباء الناعمة. وبعد ان تناولت طعام الغداء برفقة

فازيلي وصديق له. في غياب بول. التقت فازيلي نحوي وقال:

«يا عزيزتي أريد التحدث معك في صورة جدية. هل تسمحين لي بوقت قصير»

تذكرت المناسبات النادرة عندما كنت صغيرة وكانت مديرة المدرسة تستدعيني إلى مكتبها أما اليوم فهو المدير.

استغل فازيلي سيكار هافان وبدأ أنه أدرك ارتياكي. فاستسم

«أنت مثيرة لماذا؟ أنا وحدي الانسان المتوتر لدى طلب منك»

«طلب مني»

«لا اعرف اذا كنت ستفهمين جيداً. لكن ما سأقوله هو مهم لك ولى ايضاً»

كان يحب التكلم بالانغاز انتظرت حتى اخذ سحبة عميقة من سيكاره ليقول:

«لقد مضى على وجودك هنا في فيللا مارمارا حوال شهر وهذا الوقت الطويل قد

يساعدك لتجيبى على استئتي بصراحة هل تشعرين بالراحة والسعادة هنا»

«انها اجمل عطلة قضيتها في حياتي كنت لطيفاً جداً مع نيكوس ومعنى»

«هذا لا شيء. ولا تستعملى الماضي للتحدث عن انامتك. لكنها انتهت اريد ان اناقش هذا الامر معك»

لم يكف عن النظر الى. ثم اضاف:

«أنت سعيدة ومريحة. هل تشعرين وكأنك في منزلك»

ترددت. اني احب الجزيرة. والفيللا. والبحر والشمس لكن ان اشعر وكأنني في

منزلي. فيجب ان اشعر بنجدة تجاه فازيلي

«اننى مسرورة جداً هنا»

استرعى فازيلي في مقعده ونظر الى سيكاره الذي يحترق

«لست مفتتحة تماماً في ما تقولين هل انت متأكدة»

«متأكدة من ماذا»

«متأكدة من انك قادرة على البقاء هنا والعيش في ميلانوس هل انت مستعربة»

ليس هذا طبيعياً أنت ارملة الكسيس ووالدة حفيدي الوحيد وليس لديك أسرة وعائلة ومال. ولأني سبب تريدن العودة الى انكلترا»

بقيت مرتبكة البقاء في ميلانوس والسكن مع فازيلي في بيت واحد؟

«لم افكر بهذا الامر. كنت اعتقد بأننا هنا في زيارة قصيرة. لقد جئت نيكوس لتعرف اليه. لا اكثر ولا اقل»

«اريدك ان تفكري في اقتراحي الاخير. أه. لا تقرري في هذه اللحظة بالذات.

اريد ان تكوني متأكدة من قرارك النهائي. يجب على نيكوس ان يبقى هنا. انه عضو في هذه العائلة. وهذا كل ما سيرته. يا ستاسي»

بقيت صامتة اهز برأسي خفية وقلت في تلعم:

«لا اعتقد... لست متأكدة... ان الحياة هنا مختلفة تماماً. اني انكليزية وانكلترا

لغني لى الكثير. وأمل ان يكون هذا إحساس نيكوس ايضاً. لا يمكننا ان نفتلع جذورنا من البلد الذي ولدنا فيه»

«يا ابنتي العزيزة. أنت تسعين انه. لوعاد الكسيس. لأصبحت مواطنة يونانية هفتك زوجته. وتصبح انكلترا بلداً ثانوياً بالنسبة اليك»

ترددت. ان ما يقوله فازيلي صحيح. لكن الامر مختلف. ان أتى الى هنا

بصحبة الكسيس لأعيش في هذا البلد. بصفتي زوجته وليس بصفتي ارملة.

سوف آتون خاضعة لفازيلي وسيكون مستقبلي متعلقاً به وسأخسر حريتي. تابع يقول:

«سأشرح لك الامور بوضوح اكثر. لنعبر وضع نيكوس في البدء ما هو

مستقبله: اذا بقي هنا. سيتربى بصفته حفيدي. وسيكون له افضل المعلمين.

سيذهب الى احسن المدارس. وإلى الجامعة. في بريطانيا او في باريس. سيتكلم

عدة لغات وسيصبح مواطناً يونانياً. ويوما ما. سيرث ثروتني وامبراطورية

كرفيليس»

جلس في مقعده يتأمل سيكاره واضاف:

«هل تريد أن تجردني نيكوس من كل هذه الامتيازات؟»
«لا. طبعاً.»

«لكنك ما زلت حائرة. ما هي اعتراضاتك؟»
«ليس هناك أي اعتراض. لكن كل هذه المشاريع لم اكن انتظرها. المهم هو اسعاد نيكوس.»

رحت اشد على يدي محاولة ايجاد الكلمات المناسبة. وقلت:
«انك تتكلم عنه كأنه سيتجاوب مع طلبك ومع طموحاتك. لكن ربما كانت له افكار مختلفة تماماً. ربما اصبح فناناً مثل والده ولا يرغب في ادارة هذه الامبراطورية.»

«إذا ترعرع هنا فإنه سيمى حقوقه ومسؤولياته وواجباته. الكسيس كان انساناً لطيفاً ورائعاً. لكنه كان ضعيفاً، وذلك بسبب تأثير والدته عليه. واني اليوم نفسي على هذا.»

قطب حاجبيه واشاح نظره عني وتابع يقول:

«بعد سنوات قليلة من طلاقى من والدته بول. تزوجت مرة ثانية من امرأة شابة. كانت جميلة وجذابة، عكس الاولى تماماً. كانت اميركية اصلية. وحرّة ومستقلة. لكن زواجنا بدأ ينهار ولم اكن اريد ارتكاب الغلظة نفسها. لكن للأسف. اتجهت الى الجهة المعاكسة. كنت دائماً مأخوذاً باعمالى التي لم تكن تهمها. كانت صحتها ضعيفة ورقيقة وكانت متعبة باستمرار. وكان هذا اشارة لمرض توفيت بسببه. كانت تفضل البقاء في الجزيرة. مع الكسيس الذي تحبه كثيراً. وبعد موتها. لم اكن قادراً أن افعل شيئاً من اجله.»

«اني أسفة. انها ذكرى اليمة.»

ابتلعت ريقى بصعوبة ثم قلت:

«انت تتكلم عن الكسيس كأنك لم تحبه ابدًا. ولم تعجب به. لأنه حاد عن الطريق التي رسمتها له. هل تحاول ان تبين لى فظاعة هذا المثل. لتستعني من

انكرس حياتى كلها من اجل نيكوس! لكن. اذا اصبح مثل والده. فساكون لظورة به.»

الحد ينظر الى في امعان كأننى جرحته شعوره. فقال:

«يا عزيزتى. ان صدقت تجاه الكسيس بشرقك. ومن الطبيعي جداً أن تربه بهذه البراءة والاصالة. لكنك كنت متزوجة منه لسنة واحدة فقط او اكثر. ولم يكن حينذاك سوى شاب صغير. هل تعتقدين انك عرفتبه بما فيه الكفاية. كما عرفته انا. والده الذي عشت معه طوال حياته القصيرة؟ لا. لا اعتقد. لقد احببت الكسيس. لكنه خيب امالى. اريد ان الفت انتباهك الى اهمية الوراثة التي منحوه الى نيكوس. واهمية التربية المناسبة له في مثل هذا المجال.»

قلت في لطف وهدوء:

«لكن اليراث يعود أيضاً الى بول. ان يكون المسؤول المباشر للشركة.»

سقط فازيلي على شفتيه ثم قال:

«أه. بول. نعم. بالضبط سيرث الشركة اذا حدث لى مكروه. لكننى الان. انظر الى المستقبل. لم ينبغي لى بول. اى حفيد. وفي الوقت الحاضر. ليس لى سوى نيكوس حفيد لى. واني افكر بالمشاريع من اجله.»

«لكن. بول. عندما يتزوج سينجب اولاداً. لقد فهمت انه ولیدا سوف.»

هل من مصلحة ان اتكلم عن بول بهذه اللهجة؟ غمز فازيلي كان لمحة صولتي جعلته يكتشف شيئاً ما.

«انه لدير تم الوصول اليه بين العائلتين منذ سنوات عديدة. وهذا غالباً ما يحدث هنا في اليونان له فائدة اقتصادية بحثة لكننى لست موافقاً في شكل تام على هذا الزواج. ان بول هو وحده المسؤول عن اتخاذ مثل هذا القرار. لكن. في الوقت الحاضر. وبسبب بعض الظروف الراهنة. لم اعد موافقاً كلياً على هذا الزواج.»

استند ظهره الى مستند المقعد وقال:

«ربما الآن. تفهمين أكثر لماذا ارجب في ان يصبح وجودكما هنا نهائياً. انت

و نيكوس. اذا قررت البقاء هنا في ميلانوس. سأدفع لك في الحال نفقة خاصة
لنيكوس. تسمح له بالعيش في رخاء وبحيوة حتى نهاية حياته. مهما كان
ميراثه. واذا قررت العودة الى انكلترا. فلن اقدم لكما شيئاً من هذا الشرع»
رفعت ذقني وقلت:

«انها صفقة. اذا قبلت البقاء. فانك مستعد لتأمين مستقبل نيكوس المادي.
لكنك ستهم بترتيبه حسب نظرياتك الخاصة. وهذا لا يعجبني»
«هكذا اذن. هناك حل آخر لست مضطرة الى البقاء هنا انت حرة وستتزوجين يوماً
ما من رجل انكليزي. ربما. انت شابة جميلة. وستجعين الاولاد. اذن. لماذا لا
تتركين نيكوس هنا»

انتفضت وقلت:

«انك.... انت لا تتكلم جدياً! لن افصل ابداً عن نيكوس»

فقال في صوت جاف:

«اني اكن لك الاعجاب. لكن. الا تعتقدين انك تهتمين اكثر من اللزوم بهذا
الولد؟ هل انت متأكدة تماماً من انه في وسعك تأمين مستقبله؟ ربما. لكنه سيكون
مستقبلاً غير مستقر وغامضاً هنا. ستتمكن من استعادة صحته وعافيته»

نهض واقترب من مقعدي. ثم اخذ يدي و اضاف:

«اني امتنعك من اتخاذ أي قرار في هذه الظروف. لديك متسع من الوقت. هناك
عوامل جديدة يمكن ان تؤثر عليك. اني ذاهب في الغد الى اثينا وسأودعك من
الآن. وخلال غيابي. ارجوك ان تفكري في الامر. سوف نتحدث من جديد لدى
عودتي»

رافقني حتى الباب وانحنى قبل خروجي. فأسرعت الى السلم وصعدت
السلام وأنا في حيرة وارتيابك. صحة نيكوس مهمة جداً واذا اعدته الى انكلترا.
فهذا يعني انني سأسيء اليه.

فازيلي على حق. يجب الا اتخذ اي قرار في الوقت الحاضر

ولي اليوم الثاني. اصططحت نيكوس الى الشاطئ. وجهه الملوح بالنسيم
ذكرني بكلمات فازيلي البقاء هنا في ميلانوس؟ نعم. من الناحية المادية.
وصحة نيكوس. لكن. ماذا عن الناحية المعنوية والتفسيّة...؟

تناولنا طعام الغداء برفقة بانايديس انه ونيكوس صديقان صبيان غالباً
ما يلتزمان معا في الحديقة. يده بيده. يقص عليه بانايديس الاساطير اليونانية
الشهيرة. وكان ابني مسحوراً بهذه القصص

ولما وضعت في قرائنه. مساء هذا اليوم. هبطت الى فاعة الطعام. وتناولت
العشاء برفقة بانايديس واصفيت بفرح الى قصصه الخرافية. ثم تركني
والسحب الى مكتب فازيلي للقيام ببعض الاعمال. وفضلت الخروج الى
الشرفة لتهنئة اعصابي وتنشق الهواء المنعش

والمرزيا توجهت الى حديقة برسفوني. التي اصبحت بالنسبة الى مرارا يومياً.
انها حديقة رائعة. كأنها تقنعني بالآ اغادرها ابداً. ولا اغادر جزيرة ميلانوس
بالذات حشرات العسوب محلفة فوق رأسي. والحواء معظم باريج الزهور
المختلفة. مشيت ببطء نحو السلم الحجري ورايت البحر بلون الذهب تحت شمس
المغرب. والجزر البعيدة بدت خفية وغامضة. في الحالة الزرقاء

جلست قرب السيل ورحت اتأمل باقات التاردين النائمة بغربي. ومزقت
«بول وانا حائلة ناعسة فجأة سمعت خطوات تقترب. فانتصيت واذا بي ارى
بول يلترب مني. اردت الوقوف لكنه قال لي

«لا لا تتحركي قال لي انجلوس انك هنا»

«اعلمت انك مع والدك في اثينا»

«هل بول رأسه كان متعباً وملاحه مشدودة اجابني قائلاً:

«لا! طلب مني ان اعود مساء اليوم»

«واستقبلت الطائرة»

«بعد انما الوسيلة السريعة وركب والدتي السفينة الى برون. يدعي بعض

الاعمال يريد انهاءها قبل الذهاب الى رودوس حيث ستضم الى ليدي واصحابها»

ليدي هذا الاسم ذكرني بالحديث الذي جرى بيني وبين فازيلي
«تبدن في تفكير عميق، عندما وصلت الى هنا هل تشعرين بالوحدة؟»
«كلا»

كنت انقادي ان يلتفتي نظري بنظرة

«لا شك ان شيئا ما يعذبك. لا احب ان اراك هكذا. يا ستاسي»
كان يتحدث بصوت عميق ودافئ جعلني ارجف متفعل. لا، ليس لأن هذا
الصوت يشبه صوت الكسيس، لكن اليوم يبدو لي يول انساناً غريباً
ومغلقاً ويتعذر سيرة

«كلا. لم اكن حزينة بالفعل، لكن اشعر فقط.»

ترددت من الكشف عما في قلبي. لكنني قلت اخيراً:

«امس أصدر والدك بلاغاً نهائياً... وفراراً لا يرد. اذ طلب مني ان ابقي هنا في
ميلانوس»

وعرضت له مخطط فازيلي بالتفصيل وانتهيت سائلة:

«انت على علم بالامر، اليس كذلك؟»

قال في صوت جاف:

«كلا. ان والدني لا يخبرني بأسراره ابداً. انه لا يثق بأحد حسناً، وما هي المشكلة؟»
«لا ترغيبين في البقاء هنا معنا»

أدبرت رأسي والتفت بنظرة القافمة وقلت:

«ليس هذا ما اريد ان اقول. طبعاً هناك فوائد مادية كثيرة. لكن افضل واهم
بالنسبة الى نيكوس ان يكون سعيداً وقادراً على اختيار طريقه ومستقبله
بنفسه. لا اريد ان يدمر فازيلي مستقبل نيكوس كما فعل بالكسيس»
«كيف في امكانك ان تفكري هكذا؟»

«ان والدك رجل مستبد. يخطط للآخرين، من دون ان يستشيرهم في الموضوع. لا
نظن اني لا اقدر له جميله. لكنه يريدني. سوف تفقد استقلالنا ولن يكون لنا اي
خيار. لقد خطط منذ الآن لمستقبل اني وكذلك رسم خططا لأولادك. عندما
تتزوج...»

ظل شامخاً وقال:

«اذا تزوجت. لست مهتمة بالامر بصورة خاصة.»

«لكنك على وشك الزواج. انت وليديا... كنت اعتقد انكما... لقد قال لي
والدك...»

تغيرت ملامح وجهه ورسم تعبيراً ساخراً وقال:

«انها مشاريعه. لكن، كما قلت. لسا دائماً متفقين معه.»

«لكن... الست واقعاً في غرام ليديا»

هز رأسه ببطء وقال:

«انني متعلق بها كثيراً. لكن بشكل مختلف. لست مغرماً بها ولم يسبق لي ان
أحببتها ولا حتى امرأة اخرى. تعرفت الى العديد من النساء. لكنني لم اصل الى
أى وعد بالزواج. مثل ما وصلت اليه. انت والكسيس»
«لم اكن ارى وجهه. لم اكن اريد أن أتحدث عن الكسيس، ولا عن حياتي
في انكلترا. التي تبدو لي بعيدة جداً»

«في اليونان، وكما في بلدان اخرى. تنزوج عن مصلحة. ثم يقع الغرام بعد الزواج.
لما في انكلترا وفي اميركا. حيث نشأت وعشت سنوات عديدة. الناس يتزوجون
عن حب. ومنى مات الحب. لا يبقى شيء»

فبألتة في صوت خافت:

«واي نوع من الزواج تفضل؟»

هز كتفيه وقال:

«لا اعرف. قلبي يقول لي زواج حب وعقلي ينصحني بأن اقوم بزواج مصلحة. لا

اعرف ..

«هل من المفروض ان تتزوج من ليذا»

«لقد فكرت في الامر، لكن ..»

امسك يدي وانحنى نحوي. شعرت بلهائه على خدي ثم تابع كلامه فجاء

«لا تعودى الى انك لست يا ستاسى ابقي هنا»

لم يكن في امكاني ان ارد كنت اترنح بتأثير لسته كان اعصاراً هزنى لم

اشعر من قبل بهذه الاحاسيس. هل يشبه الكس كتيروا كنت اراقبه هل

سيعانقني؟

فجأة ارتفع صوت من بعيد احبط هذا الافتتان وسمعت صوت سترانوس

بصرخ

«سيدتي، مطلوبة على الهاتف، إنه المطار، السيد مايكل هاردنغ يريد ان

يحدثك»

عدت الى الواقع وقلت

«آه، شكراً يا سترانوس انى اية»

رملت بول بنظرة خاطفة، قرأته جامداً فقلت:

«اعدني، ان مايك على الهاتف، لقد قال لي انه سيتصل بي هاتفياً»

«ارجوك»

هذه اللحظة الرائعة توارت في ثوان قليلة، وأنا عائدة الى الفيلا، خيل الى

لنى كنت اعيش حلاً

٥ - لأنك خائفة!

لم ار بول في المساء. عند عودتي الى الشرفة بعدما تكلمت مع مايك في
الهاتف، كان قد اختفى. جلست في أحد المقاعد المغلفة بالقماش الابيض. بينما كان
بينروس يقود الانوار. البعوض يتطاير امامنا ويتراقص كأنه مسحور
بالضوء. رحت احاول القراءة، لكن ذهني كان شاردًا واذني تصغي الى اقل حركة
او صوت.

بعد قليل جاء السيد باتابيدس وجلس في مقعد بقرسي وأخبرته عن
مشروع زيارة هيكل هرمس واشترت الى ما افراء. قصة قصيرة عن تاريخ هذا
المعبد. ثم تحدثنا قليلاً الى ان حان موعد الاخلاء الى النوم.

اتفقت مع مايك على ان ياتي في العاشرة من صباح يوم غد لكي تقطع
الجزيرة قبل اشتداد الحر. وحتى في هذا الوقت كانت الحرارة في أوجها. ويوما بعد
يوم، تبدو الشمس محرقة والتور فويلا. لكن رياح الملتيني تجعل الجو منعشاً قرب
الخليج، وتشتت سحابة الحر.

والتقيت بول. كان خارجاً من مكتبه ورأني اتحدث مفصلاً مع ديدو

«صباح الخير»

كان نظره القاتم يحدق بسلة الاكل التي احضرتها الطباخة وبمشفة البحر
وبذلة السباحة.

«انت ذاهبة اليوم مع مايك. اليس كذلك؟»

«نعم. سنذهب الى معبد هرمس.»

«وهل تأخذين نيكوس معك؟»

«كلا... اني... حسب مايك، الرحلة طويلة ومرهقة لنيكوس وكل هذا الاثار

من تهمة سيلعب هنا برفقة يورغوس. اين الطباخة.»

ومن دون ان اعرف السبب، كنت اتكلم بسرعة واضطراب.

«هكذا تستفيدان كل واحد منكما من رفقة الآخر.»

لم يكن ساخراً، انما بارداً. وكانت لهجته مريرة. كنت اتصوره مثل قازيلي

متشكفاً، ومهيناً، لا يرحب بالقرارات المتخذة من دون استشارته. كان يرتدى

بذلة بيضاء ولا يبدو انه سيذهب خارج الفيلا اليوم. فسألته:

«الست ذاهبا الى اثينا اليوم.»

«كلا. لقد حصلت على عطلة صغيرة.»

«لو علمت بالامر... اعني. من الاسف الا تذهب الى الترخة في مثل هذا اليوم.

ارجو الا تكون حاقدا علي.»

«لماذا احقد عليك، يا ستاسي؟ انت هنا في منزلك وانسانة تتمتع بحريتها

كاملة.»

الصدافه التي ولدت بالامس اختفت فساءلت كيف كان في امكاني ان

افشي له بأسرارتي

نظر بول الى ديدو وقال:

«ارسل وزراء انجلوس، من فضلك.»

ثم التفت نحوي من جديد وقال:

«انسى لك شبارا جميلا واعذريتي الان.»

توجه في الحال الى مكتبه ولا شك انه سمع اصوات الابتهاج لانه ما ان اففل

الباب ورأه حتى دخل مايك يتبعه ستراوس وغندرز المكان ونحن نتحدث

في حاسة الطريق تصعد باستمرار في سفح الجبل. بعض الاشجار هنا وهناك.

والاراضي القاحلة، وفي كل مكان، كان البحر، كأنه غطاء واسع من الحرير

الازرق. الزوارق الصغيرة والضيقة مزروعة على سطح الماء تلمع وهي تتأيل.

والجزر البعيدة تيرق مثل حبات الماس الصغيرة على الماء الزرقاء.

توقفت السيارة على مفرق طرق. قال مايك:

«انها نهاية الطريق. والآن علينا ان نغني. الطريق غير معبدة ولا يمكن للسيارة ان

تجتازها.»

خرجت من السيارة وبقيت جامدة خرساء امام هذا المنظر الرهيب. الجبال قاحلة

تماما والنباتات النادرة مؤلفة من الصعتر البري والسباق. الفراشات الصفراء تحلق

بحرية والسكون يلف كل الانحاء.

بقينا مسمرين لحظة طويلة، إلى ان اخذني مايك من كفتي وقال بلطف:

«من هنا.»

الطريق الضيقة تنحدر بين الاشجار اشجار الصنوبر الضخمة والمملوية

تتجمع على بعضها. كنا نطأ الارض على بساط من الحشيش الناعم الاخضر.

الطقس منعش ولا عصفور يزقزق. وصلنا الى فرجة تطل على البحر. ومن هنا

شاهدت العواميد الاثرية تحدد مساحة مستطيلة، وفي وسطها تمثال رجل عار.

سألت مايك وانا اشير الى التمثال:

«هل هذا هو تمثال هرمس؟»

«كلا. انه تمثال يدعى في اللغة اليونانية. كوروس. نحت في القرن السادس قبل

المسيح. وهذا النوع من التماثيل تقدم عادة الى الابطال، او احيانا الى

الشخصيات الشهيرة الراحلة.»

افتربت لأتأمل هذا التمثال بحجم الانسان. كان منتصباً واضعاً يد على

وركه، واحدى قدميه متقدمة الى الامام. من الصعب تمييز التفاصيل التي

انتزعها الريح والطقس. أصابع احدى يديه تفتتت، ومع ذلك كان الشاب يبدو

وكانه حي.

«هذا جميل حقاً. اتساءل ماذا حل بهرمس.»

«ربما لم يأت إل هنا أبداً. إن هذا جزء من الاسطورة.»

توجهت إلى طرف الشاطئ الصخري وانحنيت إلى الامام وصرخت:

«يا له من مكان غريب لبناء هيكل.»

اقترب مايك مني وامسكني بيدي وقال:

«احذري الوقوع. نعم. إن هذا رائع. لكن بحر ايجة مليء بمثل هذه الامكنة.»

«كل هذا فائق. إنه عالم مختلف تماماً إذا ما قارناه بانكلترا. إذا غادرت اليونان.

فلا اعتقد أنني سأعود إليها مرة ثانية. لكنني سأظل أتذكر بصورة دائمة هذه

المنظر.»

«لماذا لا تعودين؟ سيدعوك فازيلي كل سنة.»

«كلا. إذا عدت إلى انكلترا. يتبرأ منا.»

«ولأي سبب؟»

جلست على إحدى الصخور الضخمة وقلت:

«إنها قضية معقدة. أريد أن تسمعها.»

«طبعاً. أخبريني.»

أطلعته على الحديث الذي دار بيني وبين فازيلي. فأصغى في عبوس ثم

قال:

«هذا الرجل يعتبر نفسه كل شيء؟ تنخلين عن نيكوس. يا له من إنسان مسكين

في كل حال. إن مكانه بقربك.»

ابتسم وبرغم النظارتين السوداوين اللتين تحميان عينيه من الشمس. خيل إلي

أنني أرى عينيه. أنه يكن في مودة قوية. فتنهدت وقلت:

«بالنسبة إليك الأمر يبدو سهلاً. وهوان اختار بين البقاء أو الرحيل. لكن المشكلة

هي نيكوس أنه في صحة جيدة هنا. في بلاد الشمس. إذا اصططحته إلى

انكلترا....»

«أبدي حل.»

وقف وأمسك بيدي وقال:

«التزوجيني. يا ستاسي. فأنا أحبك. لا لا تتسلمي. أنني لا أصرح. ليس من

السهل أن أقول هذا الكلام. لكنني أشعر به. في كل أعماق قلبي. أنني أعني بك

وينيكوس الذي سأحبه وكأنه ابني. يمكننا أن نعيش هنا. في ميلانوس. حتى

نهاية عقدي. إلا إذا طردني فازيلي. وهكذا نذهب إلى نيوزيلاندا ونؤسس أسرة

هناك. سنتحين البلد. يا حبيبتي والطقس جيد ويلائم صحة نيكوس.»

ترك يدي ووضع ذراعيه حول خصرى. ثم اتحنى قليلاً. لينظر إلي وقال:

«ما رأيك؟»

قلت في صوت مضطرب:

«أه. يا مايك.»

«ماذا يعني هذا؟»

«لا أعرف. أنني مضطربة وحائرة. أنت إنسان طيب وأناي أحبك. لكن...»

«لست واقعة في غرامى. أعرف ذلك. أنني لا أبحث في أن أحل مكان الكسيس.

لكن يجب أن يهتم أحد بك. وينيكوس. وأنا قادر على ذلك. سأساعدك. يا

ستاسي. لست في مستوى آل كرفيليس. لكنني لذي مؤهلات ووظيفة محترمة

تدر علينا ما يكفيننا ولن نكون فقراء.»

«أرجوك. ليس المال...»

ابتسم بسرعة وقال:

«إن أقدم لك الترف والثروة كما سيفعل فازيلي. لكن المهم بالنسبة إليك هو

عدم العودة إلى انكلترا وشيء آخر أيضاً هو أنني أحبك.»

ضغطت بخدي على كتفه وقلت:

«أه. يا مايك.»

شدني نحوه ووضع رأسه في شعري. وقال:

«هل الجواب هو نعم؟»

«لا. هذا يعني شكرا لأنك أحببتني وتريد مساعدتي.»

ثم تابعت:

«الزواج هو اختيار جدي. لا يكفي أن نكون متفقين مع بعضنا البعض. إنه أقوى

من الصداقة. لا يمكننا أن نخوض في الزواج من دون التفكير مطولا بذلك.»

«سبق واخترت الزواج مع الكسيس وكننا شابين في سن الـ ١٩. كيف كنت

متأكدة من نفسك. حينذاك؟»

كيف؟ لكن هذا هو الماضي. لقد التقينا وكان الحب من النظرة الأولى.

وفجأة تذكرت ذلك الاحساس الذي شعرت به مساء أمس. مع بول. انفعلت

لشدة تشبهه بالكسيس بينما مع مايك اظل باردة. فشعرت بخجل من هذا

الموقف تجاه هذا الانسان الجذاب.

جذبني نحوه وراح يعانقني. إنه غريب وغير اعتيادي. كنت أخاف أن

يعانقني أحد ويأخذ مني ردة فعل المنفعل الذي احتفظت به لألكسيس. فبقيت

جامدة مثل الخشب، لأنه منذ زمان...

أفلتني وقال:

«لم تفهمي ما أريد.»

«اني أسفة... لا أقدر... لا...»

«الست من نوع الرجال الذي تفضلين؟»

«كلا. إنها غلطتي. وربما لأن ليس هذا المكان المناسب ولا الوقت المناسب.»

«هل تحبين شهر العسل على انغام موسيقى الكمان؟»

«لا. لم اعد فتاة صغيرة. اني ارملة.»

شعر بمرارتي وبحث عن يدي وقال:

«ستاسي. حبيبي. أريد أن أحبك. لكن فقط اذا سمحت بذلك. أخاف أن

استعجل الامور. مرة أخرى. وسيأتي يوم وأحرق هذا الستار الحديدي الذي

يحجبك من كل تأثير. يجب أن يعاملك المرء بلطف كبير.»

نهدت وقلت:

«أنت رجل يتفهم الامور.»

ضغط على اصابعي وقال:

«أحبك وأريد أن أتزوجك. والآن سنستفيد من هذا النهار الجميل. اذا كانت زيارة

الاثار تكفي. يمكننا أن نعود الى السيارة وبحث عن مكان نسيح فيه.»

«اتفقنا.»

«في المساء نتناول العشاء في تيفتيوس. ويمكننا أن نرقص في النادي. تعالى.»

عدت الى السيارة. وكان مايك رائعاً. ولم يذكر حديث هذا الصباح إلا مرة

واحدة بعد السباحة. فقد اكتشفنا خليجا صغيراً بين الصخور وأشجار الصنوبر.

أحضر لنا الطباخ وجبات لذيذة الطعم: الكوسى المحشي بالرز واللحم. ورفاق

محتي بالجين والسيانخ. وفاكهة الكرز والعنب. بعدما اكلنا تمددنا في ظل

الصخور. اغمضت عيني. وبعد لحظة. لاحظت أن مايك ينظر الى

شعره وذقنه ميلاناً بقطرات المياه التي تبدو كاللؤلؤ. جسده القوي وعيشه

الزرقاوان اللامعتان. وبشرته التي لوحنتها الشمس. كل هذا يذكرني بالفايكنز.

تحدث الى في صوت ناعم وقال:

«هل تعرفين يا ستاسي. كأنك وجدت للحب.»

أقترب مني. فحاولت ابعاده وقلت:

«مايك. لقد وعدتني...»

«حسناً. لن أحاول مرة أخرى. لكنك كنت جميلة في بذلتك البيضاء...»

«استرح. إنه وقت الفيلولة.»

نظرت اليه. كان قد اغمض عينيه. وبعد دقائق. كنا نائمين.

استيقظنا بعد حوال ساعة. ثم عدنا للسباحة من جديد. ثم رحنا ننتزه بين

اصطحبني مايك الى مطعم جديد كان سقفه مغطى بالفراش الازرق وفي
احدى زوايا الغرفة موسيقان يونانيان يعززان والناس يرقصون.
وخلال العشاء اصبحت مصابيح على شاطئ البحر وكذلك الفناديل في
صواري السفن.

كنا على وشك احتساء القهوة عندما نادى مايك رجلا يصطحب فتاة رائعة
الجمال، شعرها اسود طويل. انه مهندس اسكتلندي يعمل مع مايك الفتاة
تدعى ايسا ديفري وهي معلمة. نتكلم الانكليزية بطلاقة. وبقينا معا حتى
نهاية السهرة.

مر الوقت ونحن نتحدث ونعطي رأينا في بعض الاساور وسرقص. وقبل
منتصف الليل، انصرفنا بعد ما تواعدنا على ان نلتقي مرة اخرى.

الفر يدور والجبال تلمع مثل الفضة. والبحر يمتد امامنا. طوال الطريق حتى
فيلا مارمارا. كل شيء كان جيلاً وهادئاً.

الانوار تتلألأ من نوافذ الفيلا لا شك ان نيكوس نائم خرجت من
السيارة وليس في ذهني الا الاسراع الى غرفتي والفاء نظرة الى فراش ابنتي.
ودعت مايك قائلة.

«شكراً يا مايك لقد امضيت نهاراً رائعاً»

اغلق باب السيارة بهدوء وامسك يدي وقال:

«كم انا سعيد. وبعد عودتك من الرحلة البحرية الى رودس على متن باخرة
قازيلي. سلتقى وبدأ من جديد متى نعتقد انك ستعودين»

«ربما بعد اسبوعين»

«فكرى في ماقلت. اننى ملجأك الوحيد»

«لن انسى. والآن سأتركك يا مايك»

جذبتني وعانقتني بعنف وقال

«سر على الطريق الصحيح تصبحين على خير يا حبيبتي. انى احبك»

دخلت السيارة ولوح بيده وهو يقلع في سيارته. وانا لوحت بيدي في حسرت
حتى الا رجع احداً في مثل هذا الوقت.

كان اتجولس ينتظرني وراء الباب انحنى وهمس صاء الحبر في تهذيب
وتناول السلقة ثم اشار الى قاعة الاستقبال. كان بول جالساً في احد المقاعد
واقفاً يديه في جيب سترته البيضاء وقال:

«ت متأخرة»

«لم اكن اعرف ان علي ان اعود في وقت محدد»

«هل امضيت كل هذا الوقت مع السيد هاردينغ»

«طبعاً»

«لقد ذهبت لقضاء وقت في الهواء الطلق. لكن ما حدث يشبه عشاء تحت سماء
مقمرة»

«ذهبت الى تيفينوس لكن لماذا تتدخل في شؤني»

«بعض وتقديم تحوى وسألني»

«هل ستتزوجين السيد هاردينغ»

«ايستمت ثم هزرت كنعني وقلت»

«لا اعرف. لم اقرر بعد»

«هل عرض عليك الزواج»

«لماذا يهمك الامر اريد ان اصعد الى غرفتي واطمنن الى نيكوس»

حاولت دفعه عني. لكنه كان قد امسك بمعصمي وقال:

«لقد تركته طوال النهار. وهذه الدقائق لن تؤثر عليه بشيء خاصة وأنه نائم
الآن»

حدق بي في الحاح ولعلت عيناه الفاتمتان وشعرت بلهائه على خدي غريزيا

دفعته بعيداً عني فقال

«تفكرين بالزواج من مايك كي لا تعودى الى انكلترا. اليس كذلك! لكن لن يحدث كما تتوقعين»
«كيف... كيف عرفت ذلك؟»

شد على معصمى وقسك بيده الثانية الى ذراعى لم يعد في وسعى التحرك
انحنى وقال هامساً:
«اذن؟»

لم اكن قادرة على التحديق فيه، فاضاف يقول:

«قد استطيع مساعدتك على التفكير»

وبدا يعانقني وراح الدم يغلي في عروفي. شعرت اني اعيش من جديد. كأنني كنت انتظر هذه اللحظة بفارغ صبر. لقائي الاول مع بول كان حاسماً وقطعياً. لقد رأيت فيه الزوج الذي اريده.

وجدت نفسي في حيرة من عواطفى. عندما جذبني بول اليه. ويداها تداعيان كنفى. ثم شعري الناعم. الزمن والظروف افلتت منى. كلياً. وغبت عن الوعي. منجذبة باحاسيس لم يسبق ان عرفتھا.

لم اذكر كم من الوقت مضى على هذا العناق. فجأة. جذبني بول الى المقعد المجاور. حاولت التخلص من قبضته ورحت ادير رأسي في كاه انجاء واقول:
«بول، ارجوك»

تخلصت من قبضته وفي لحظة اصيحت واقفة امامه اقترب منى وشعرت بصدره يرتفع كأنه كان يركض. فسألني:
«ماذا هناك يا ستاسي؟»

لم اكن اعرف ماذا جرى. ربما انجذبت له جسدياً. ليس لأنه بول. بل لأنه يشبه الكسيس. كنت اريد ان يحبني شبحه.
«اعذرنى. ان هذا الجنون... انى... انى...»

لم اعد اجد الكلام لأعبر عن مشاعرى. فتوجهت الى الباب واذا به يلحق بى

ويتمسك بيدي ويقول:

«ستاسي، منذ دقائق قصيرة، كنت تريد بشى. وأنا أيضاً كنت أريدك. لا تخجل. يجب ان تعرفى انى وقعت في غرامك. ذلك المساء. في حديقة برسفونى. هل تتذكرين؟ كنا نتكلم عن والدى. وعن الكسيس. وفجأة شعرت بشى أقوى منى. شعرت بأنى احبك حتى الجنون. كنت اتصور انى بدأت اعرفك. لكنى اريدك لى وحدي»

كنت ارتجف في كل انحاء جسمى.

«لا تقل هذا. لا فائدة منه انت الكسيس نفسه. وهذا ما يضللتى لا اشعر بجأحك الا بانجذاب جسدى كأنك انت الكسيس بالذات. انه هو الذي اريد وليس انت»

حدق بى في غرابة وقال

«انى افهم. خيل اليك انك موجودة مع شبح»

«نعم. هذا هو الامر. هذا جنون. انت تشبه الكسيس كثيراً عندما غانقتنى استعدت ذاكرتى. كان شيئاً رائعاً»

«لكن... لكن الا تشعرين بالشىء نفسه مع مايك؟»

«انى الا اشعر بشىء بجاء مايك معك. الامر مختلف. في هذه اللحظة. كنت على استعداد للاستسلام. كانتك خللت مكان الكسيس»

«هل هذه فكرة سيئة؟»

«لكن، انها علاقة خاطئة. فضلاً عن اننى لا اريدها»

«لان الانسان الذى يجذبك هو أنا. أوفقط من ناحية المبدأ»

«من ناحية المبدأ. لأنى احببت الكسيس. ولأننا كنا سعيدين. اريد ان اعرف السعادة نفسها»

هز كتفيه وقال:

«ان الكسيس مثلك الاعلى لكن يجب عليك أن تعرفى بين انسان ميت وبين

هدفك. انك تبخنين عن المستحيل، فقط كيلا تجديه. لأنك خائفة من السقوط في الحب مرة ثانية.»

«اخاف من ماذا؟»

«تخافين من مأساة أخرى، من مصيبة جديدة تدمر سعادتك. ان شيهي بالكسيس يجذبك ويرعبك، تخافين أن تخيبي. ولذلك تخلفين الصعوبات. انك تلصين بالنار.»

«ماذا تقصد؟»

«تحاولين لجم انفعالاتك، لكنها ستفجر يوماً ما. سبق وقلت انك لا تشعيرين بالتجذاب لأي رجل اذا كان لا يشبه الكسيس. هذا خطأ. انك تجيدين هذا الحب في محبتك الرفيعة لأبنك. كنت منذ قليل مستعدة لأن تخيبي. عندما كنت بين ذراعي. وكان الاضطراب والتوتر ومن دون ان ابدو متعاطفاً، اعتقدت انه يجب عليك ان تفكري بالامر. ومن جهتي فانا في سن ناضجة واعرف ما افعل.»

«أتريد ان اكون عشيقتك؟»

«لم اقل هذا ابداً.»

«لكنك تنتظر ذلك مني. والحل الوحيد لأخلص من عقدي هو أن استسلم لك لأنك تعتبر نفسك عاشقاً ممتازاً، وفي امكانك ان تجعلني انسى الكسيس. لا، لا اريد.»

بدأ صوتي يرتعش فقلت:

«دعني لوحدي.»

تراجع خطوة وهز رأسه وقال:

«حسناً. تصبحين على خير.»

لم ارد على محبته وركضت بسرعة الى غرفتي. تكلم بول في هدوء كبير وماذا انتظرت ان ياخذني بين ذراعيه؟ يا هذه السخافة!

دخلت الى غرفتي المضاءة بتعديل خافت موضوع قرب السرير. كان نيكوس

نائما في عمق. بقيت مدة طويلة اراقبه فهدأت اعصابي تدريجياً. كيف استطيع ان ابقى هنا بعد الآن؟ حتى من اجل سعادة نيكوس، يجب ان اطلع فازيلي على قرارى. ستفاد ميلانوس. سأجد عملاً، في مكان آخر، من اجل صحة نيكوس.

ربما يكون في استطاعة صايك مساعدتى. ان له اصدقاء كثيرين في نيوزيلاندا. ولكن ماذا بعد ذلك؟ سأجد نفسي مضطرة لأن اتزوجه.

غرفتنا، نيكوس وأنا، كانت زرقاء وبيضاء، وفيها حمام خاص مثل الغرف
الأخرى.

استقبلتنا قاعة الاستقبال الرمادية اللون والحمراء ذات الهواء المكيف والمنعش.
بعد نهار امضيته تحت اشعة الشمس اللاهبة، كنا نتناول العشاء كل مساء في
غرفة الطعام، ونتناول الغداء غالباً على سطح السفينة، تحت خيمة من الستائر
السميكة المقلدة بالازرق والابيض.

البحر يلمع والسما زرقاء من دون غيوم، والجزر القريبة ومرافئها الصغيرة
ومنازلها البيضاء والصفراء، جزر أخرى، صخرية، تنضب جبالها المنحدرة والوعرة
والفرقة تحت السماء.

في الصباح كنا نسبح حول اليخت، وحتى نيكوس بالذات بدأ يحب البحر
ولم يعد يخاف منه. وصحته بدأت تتحسن وكان يشترك معنا في السباحة
الدكتور سيكيليانوس، وهو ساح ماهر بينما كان فازيلي يبقى على سطح
الباخرة مع السيدة فانتيريس التي لا تسبح.

وكان من الطبيعي ان تشكل الشخصيات التي تنتمي الى العمر نفسه فريقاً
واحداً، بينما كنا، بول وهرميون ونيكوس وأنا نؤلف فريقاً آخر، لكن، كي
الحاشي وجودي مع بول، كنت امضي معظم وقتي مع السيدة فانتيريس، فهي
ذات حيوية ودفء كبيرين، وعندها من القصص ما يسلينا، ولذلك بدأت اتعلق
بها.

اول محطة توقفت السفينة فيها في جزيرة ديلوس، وهنا قال فازيلي
«سيكون الطقس شديد الحرارة، ومع ذلك من الافضل زيارة الجزيرة تحت اشعة
الشمس وهكذا تفهمون السبب الذي من اجله سميت هذه الجزيرة مهد ابولون.
هنا سترون النور النقي، انتعلوا احذية متينة، لأن الارض صخرية برغم كون
الطريق قصيراً.

٦ - متى تغيرت؟

في الايام التالية نحاشيت الاتصال ببول، كنت دائماً برفقة نيكوس او
السيد بناييدس، ثم عاد فازيلي.

نويت الذهاب الى رودوس، اليخت بانتظارنا في الخليج.

قال لي فازيلي:

«هذه الرحلة ستفيدك كثيراً، انك تبدين شاحبة ومرهقة، يا عزيزتي. قد يكون الحر
قوياً بالنسبة اليك، لكنك ستحبين نسيم البحر المنعش.»

كنت أبحث عن طريقة لأقول له إننا لن نصعد الى متن يخته واننا ستفادر
البلد، لكن الكلمات لم تخرج من فمي. كنت اقبل قراراته بضعف، مرغمة نفسي
على التفكير بأن ما يحصل بخدم مصلحة نيكوس، اي صحته، وبعد عودتي
سأعلمه بالأمر.

أخيراً ذهبتا، وكنا، فازيلي، بول، نيكوس، السيدة فانتيريس والدكتور
سيكيليانوس وفريته هرميون، وأنا.

لم يسبق لي ان رأيت مثل هذا اليخت الجميل وفي الحقيقة لم ابصر من قبل
أبداً. اعلمني السيد سيكيليانوس ان هذا اليخت مؤلف من ثماني غرف، اضافة
الى ستة امكنة لطاغم الباخرة، وانه مكيف بالهواء ومجهز بحركات تستخدمه في
صناعة سيارات الرولس رويس الشهيرة.

فسألته.

«هل سيتمكن نيكوس من ان يتبعنا».

«طبعاً! في ستة. لن ينسى مثل هذه المناطق الساحرة والهيكل السري».

فازيلي بقرر كل شيء. انزلنا الزورق قبل الظهر وفهمت للحال معنى

كلمات عمى. النور انبثق من كل مكان. كأنه حي. والشمس تشع كالجمهر كل

شيء يبدو ملتهباً وكنا نقترّب مأخوذين بشوة الاضاءة اخذنا طريق الهيكل

لم اكن انتظر شيئاً يفوق التصور: الركائز والقنايل. شيء رائع. لكن. أمام

عيني. انتصبت الآثار الضخمة. وسط الحشائش والشجيرات كأنها بقايا زلزال.

اخذت انظر الى بقايا الاروقة. وقطع العواميد. كلها من الرخام الابيض

يعكس النور.

اقترّب بول مني وقال

«الهيكل كان هنا».

انتفضت بعضية. لأنه. منذ زمان. لم يكن هناك مناسبة لتلتقي.

«وهذا كل ما تبقى من ابولون. انصبر فقط».

حاولت تخيل تحت الضخم. كيف كان. فقلت من دون انفعال:

«لاشك ان تمثال ابولون كان ضخماً».

«نعم. ان قاعدته كانت بطول خمسة امتار. وعرض ثلاثة امتار وعلو عشرين

متراً. وهذا الهيكل كان من اهم الهياكل اليونانية اجلالاً. وجزيرة ديلوس من

اقدس الجزر».

توقف وحدق في عيني. فسألته.

«الى ماذا يرمز ابولون. هل يرمز الى الفنون».

«ان ابولون يمك في يده قوساً وفي يده الثانية صورة ثلاث نعم: الموسيقى.

الرقص والنور. وهو بالذات كان رمز القوة. كان يحمي الفطيع ويحب التوازن

والعدل. ومن اقوال ابولون: «لا تتجاوز ولا افراط. اعرف نفسك بنفسك».

اقتربت هرميون ووقفت من الجهة الثانية للتمثال. كانت تصغي الى ما

يقوله بول في اهتمام. كأنها مجذوبة اليه. كان يرتدي قميصاً بحرياً وسروالاً

ابيض. بشرته سمراء. وعندما ابتسم اظهر عن اسنانه المرسعة البياض.

«انه رمز الموت المفاجيء. والانتقام. لكنه كان يشفي بسرعة ويقتل بسرعة».

تهدت هرميون وقالت:

«كل هذه الاشياء الجميلة اختفت اليوم».

«لقد سرت اثينا الكثير وبنت الحضارة من جديد. لكن الناس مازالوا يؤمنون

بابولون».

نادى الدكتور سيكيليانوس هرميون قائلاً:

«اريد أن اطلعك على ما هو مكتوب هنا. وانت يا بول ربما كان الامر مهمك».

وعلى مضض وافقت هرميون على الذهاب الى حيث كان الطبيب بينما قرر

نيكوس الجلوس في الظل.

قلت:

«سألتق بنيكوس».

فأخذني بول من يدي وقال:

«يبدو انك تحاولين التهرب مني في هذه الابهام».

كانت لمسته تحرفني فقلت:

«ارجوك يا بول».

«لم اغدر رأيي. اتعرفين هذا؟»

حاولت التخلص من قبضته.

«هذا لا يجدي شيئاً. سأغادر ميلانوس وسأصطحب نيكوس معي. وسأذهب

الى حيث اجد عملاً».

«الى نيوزيلاندا، اليس كذلك؟»

«ربما لم افكر بعد بهذا الامر.»

«لا تكوني حمقاء يا ستاسي.»

«هذا أمر لا يعنيتك. دعني من فضلك.»

كنت التحدث في صوت مرتفع، بحيث كان في امكان الآخرين سماعي فاسرعت الى نيكوس وقلت:

«اين انت يا عزيزي؟»

كان فازيلي واقفاً في طرفي فقال:

«هل انت مضطربة؟ اعذريني اذ لم يكن في وسعي أن اتفادى الاصغاء الى

الحديث الذي جرى بينك وبين بول.»

«لا بأس...»

«ان بول هو آخر انسان يمكنه ان يؤذيك. انه معجب بك جداً.»

اقترب مني ليرافقني لكنني خطوت الى الامام. قال:

«هل في امكاني ان اساعدك؟ ان لعب مثلاً دور الحكم؟»

وجدت ان الوقت مناسب لأقول له:

«في الواقع كنت اقول لبول إنني اريد مغادرة ميلانيوس. لايمكنني البقاء هنا

ولا اريد ترك نيكوس عندك.»

رفع يده وقال:

«انتي ارفض حبسك يا ابنتي العزيزة. لا يهمني ما يقوله بول. كان يحاول

بالطبع ان يقنعك بالبقاء. اننا نقوم الآن برحلة جميلة لتستريح، فلا تفكري في هذا

الامر الآن. اذ لديك الوقت الكافي بعد عودتنا.»

كنا قد وصلنا الى قرب نيكوس فقال فازيلي:

«لقد وجد نيكوس مكاناً في الظل. اجلسي واسترخي. يا ستاسي. سأأخذه ليرى

بقية الاثار. تعال مع جدك يا نيكوس. سأروي لك حكاية جميلة.»

«اي نوع من القصص؟ قصة باقان؟»

«لا. انها قصة قديمة جداً. وبطلها ابولون رمز النور.»

ابتعد عني وبقيت جالسة في الظل. ليس من السهل اقتناع فازيلي. يبدو أنه

يدرك نوع العلاقة بيني وبين بول.

كانت الرحلة رائعة ومع ذلك فقد كنا جميعاً تواقين الى الصعود الى متن

السفينة. وبعد حمام بارد احتسينا التراب المنعش قبل ان نتناول طعام الغداء.

بعد ذلك انصرف كل واحد الى اخذ قسط من النوم.

في المساء جلست مع السيدة فانتريس. بينما كان فازيلي وهرميون وبول

والدكتور سبكيليانوس يلعبون البريدج في قاعة الاستقبال.

لم تراقفنا السيدة فانتريس الى جزيرة ديلوس التي نعرفها جيداً قالت:

«انها تجربة جميلة. يجب أن يزور الجميع هذا الهيكل. ولو مرة واحدة في الحياة.»

«هذه الاثار كم هي رائعة. لكنني لم اقتنع بالاساطير.»

«صديقها، الاساطير هي اليونان والأفليس هناك سوى الحجارة.»

رفعت رأسها نحو السماء الزرقاء المرصعة بالنجوم. وقالت:

«هناك عالمان، يا ستاسي. ذلك الذي نراه وذلك الذي نشعر به. العالم الثاني

مخفى وراء الاول. ويوما بعد يوم يشرح لنا العلم اكتشافاته مدمراً الاساطير

وطبالات الازمنة. لم يعد القمر سوى كوكب تابع وصارت النجوم كواكب

سيارة. في امكاننا تصويرها ومعرفة المسافة بينها وبين الارض. كما يمكننا ان

نأخذ زهرة وننتزع منها اوراقها. الواحدة بعد الاخرى. لكن هل في امكاننا ان

نصنع وردة؟ لايمكننا حتى اختراع الحبة التي منها تنبت الزهرة.»

التفتت اليّ وابتسمت ثم اضافت:

«انني اعتقد بأن الحالمين والشعراء أهم من العلماء. انهم يلخصون الحياة في قاعدة

بسيطة الست من رأيي؟»

«ما سبق لي ان فكرت في هذا الامر، لكنني اصدقك.»

«انت انسانة عاطفية، تؤمنين برجل واحد وبحب واحد. انما لم اتعرض لهذه التجربة. لم اتزوج عن حب واحببت عدة رجال لكنه لم يكن الحب الحقيقي.»
«وزوجك؟»

«انتي اعامله كصديق. اننا متفقان من الناحية العملية. فهو يهتم باعمالى وانا ابادله هذا الاهتمام. ارجو ألا اكون قد صدمتك.»

«كلا. لكنني استغرب هذا الامر. تعتبرين نفسك عاطفية، اما انا فاراك واقعية.»
«انك انت العاطفية. يا ستاسي. الرجل الوحيد الذي احببته بالفعل كان متزوجاً. وكانت علاقتنا قصيرة جداً. هو عاد الى زوجته وانا ناهت مهنتي. ثم تزوجت عن مصلحة وبمحبة صادقة. لكن انت يا ستاسي صبيحة وبريئة ايضا. احببت من اعماق قلبك. لكن تجربتك كانت قصيرة جداً. وينبغي ان تعرفى ان الحب من دون العلاقة الحسنة والعلاقة الحميمة من دون حب لا يمكن ان يحققا زواجا حقيقيا.»

خيم صمت قطعه دوي المحركات وهدير المياه.

قالت السيدة فانتيريس في لطف

«مايكل واقع في غرامك. فهل تحببته؟»

«كلا. بل احترمه جداً.»

«لست في حاجة لأن اقول لك ان هذا لا يكفي. يجب ان يكون هناك انجذاب جسدي وانسجام نفسي يجعلان الشخصين متعدين.»

حاولت ان اذكر ما الذي كان يجمعنا. انا واليكسيس لقد كنا اكثر من شابين سعيدين. لماذا تغيرت... ومن غيرنى؟

اخذت ارنجف من دون وعي ثم قلت

«يجب ان ننضم الى الآخرين.»

وضعت السيدة فانتيريس يدها على فراعي وقالت:

«الحياة لا تزال امامك. يا ستاسي لا ترتكبي الخطأ الذي ارتكبته انا في حياتي.»
ترددت ثم قلت:

«هل الرجل الذي احببته كان والد مايكل؟ وهل احببته كثيراً؟»

وفي صوت حزين اجابت نعم ثم مدت الى يدها. فساعدتها على النهوض ومضيئنا.

قال فازيلي:

«إنها إحدى الجزر الجافة. وما من أحد يمكنه أن يعيش هنا، بسبب عدم وجود المياه الحلوة.»

ثم أشار إلى ثلاث عترات ظهرت على نتوء من الصخور، فوق رؤوسنا.
«هذه العترات الثلاث ما زالت حية. لكنها ملك أحد الصيادين. من دون شك.»
قالت ماريّا بعدما رأت صياداً يقدم خدماته لنا.
«يمكنني أن أبقى متمددة في هذا الزورق الصغير.»
فقال فازيلي:

«وأنا كذلك. هذه المغارة مخصصة للشباب. ومن بينهم الطبيب ديثري.»
ربت على كتف الطبيب في سخرية وقال:
«ماريّا، أنت وأنا، سنصعد في هدوء من هذه الطريق الضيقة ونأمل المنظر الرائع.
ثم نعود لانتظار المستكشفين الجريئين.»
نيكوس المتحمس كان متلهفاً للصعود إلى الزورق الصغير هناك مكانان فقط داخل الزورق. فانقسمنا إلى فريقين. قالت لي هرميون:
«أذهبي يادى. الأمر مع نيكوس الذي يبدو نافذ الصبر.»
ترددت. أمسكت بيد نيكوس وقلت:
«والآن اجلس هنا وكن عاقلاً.»

ساعدنا الصياد في الهبوط إلى الزورق ثم وجهه إلى الفريق الآخر كلاماً باللغة اليونانية. فشاهدت نظرة هرميون الحافظة إلى بول. ثم أخذ فازيلي ذراع ابنه ودفعه إلى الامام وقال:
«أذهب مع ستاسي. الرجل يقول إن هناك مكاناً لأسنان آخر هرميون وعمها سيذهبان في الجولة الثانية.»

نظرت هرميون إلى بول في حزن وهو يبطئ في الزورق الصغير ويجلس بيني وبين نيكوس. كانت تتمنى أن تقوّم بالجولة معه.

٧ - لحظة لا تنسى!

مرات عديدة فكرت بالحديث الذي دار بيني وبين ماريّا فانتيريس. طلبت مني أن أناديها بأسمها الأول. لأننا أصبحنا صديقتين.

ما زال أمامنا يومان قبل الوصول إلى رودس. حيث تنضم ليدا إلينا. وبعدنا سنعود عن طريق الشاطئ التركي. وفي طريقنا نوقفنا في جزيرة لم اسمع بها من قبل هي جزيرة كوسيانيه. إنها صخرية غير مسكونة. لكنها مشهورة بمغارتها الكائنة تحت الماء.

قال الدكتور سيكيليانوس وهو يضحك:
«نجد في هذه الجزيرة السرطان البحري. كما نجد الكثيرين من صيادي السمك. وإذا كنا محظوظين سنجد صياداً في أمكانه أن يصطحبنا إلى المغارة. فالزورق الكبير لا يمكنه أن يمر من بين القباب المختلفة. يجب أن نتمدد لكي نستطيع دخول المغارة. وهذا ما يحصل في المغارة الزرقاء. في كابرّي. هل تعرفينها؟»
«كلا.»

«ليس هذا مهماً أن مغارة كوسيانيه هي أجمل وأروع من مغارة كابرّي لأن تنسيها أبداً.»

وكوسيانيه مكان مهجور. لكنه رائع الصخور تتنشق من البحر الأزرق. تحت شمس ذهبية لا أترأى إنسان فيها.

وجه الصياد الزورق نحو ظل الصخور وفي سرعة أصبحنا في الداخل.
بعيدين عن نظر الآخرين. قطعنا أول قبة طبيعية مؤلفة من صخرة مستندة إلى
الشاطئ الصخري. ثم اجتازنا قبة أخرى أوسع كانت تضيق كلما تقدمنا. اقتربنا
من حائط صخري. ثم لمحنا فتحة بين الصخرة وسط الماء بدا لي مستحيلاً مرور
هذا الزورق من هذا الثقب. لكن الصياد امرنا بالركوع وإذا أمكن التمدد.

فقال بول

«كوفي حذرة»

انحنيت جاذبة نيكوس نحوي. كان وجهه يعكس نوعاً من التخوف أمام
هذه المناورات المختلفة.

قال الصياد

«نعم نعم»

انحنى بول فوقي وكذلك رأيت الصياد ينحني. ودخل الزورق في العتمة
واجتاحني الغرب شعور في حياتي. طرف الزورق لمس الصخر بينما كنا نتقدم
بطء تدفعنا يدي الصياد.

سمعت هات نيكوس بينما كانت يدها تضغطان على يدي بشدة

قال بول

«تسك جيداً يا نيكوس. اماناً فقط دقائق معدودة»

وفي الوقت نفسه شعرت بأن يدي بول تبحث عن يدي. فقال

«هل أنت على مايرام يا ستاسي»

«نعم»

فجأة وصلنا إلى مغارة زرقاء لامعة. المكان كان رائعاً. لم أكن أرى الطرف
الأخر للمغارة. السقف مرتفع جداً على شكل قبة. والرواسب الكلسية المتحجرة
تشكل مثل النحوت الغوطية. ولون المغارة الغريب والرائع يتغير ويصبح فاتحاً
وقوياً. أخرج الصياد مجدافاً وحرك سطح الماء. مغيراً لون المكان الذي ينعكس

على الصخرة. تصبيرة الخشب النور. ورق. وحلت مكانه الألوان الزرادية
والصفراء والتسحية. وما أن هدأت المياه. حتى عاد اللون الأزرق إلى الظهور
ليجلاً المغارة.

حان وقت العودة والمرور تحت الصخرة. ومرة ثانية تمددنا في قعر الزورق. وبعد
لحظات قليلة كنا في الخارج قاطعين القبة الأولى.

سأل بول ونحن نتجه نحو المرفأ:

«ما رأيك؟»

«إنها رائعة جميلة جداً. اليس كذلك يا نيكوس؟»

هز رأسه إذ كان جامداً ومسحوراً. وما أن وصل إلى الأرض الصلبة حتى
استعاد وعيه وأخبرنا في استهياج الأشياء الرائعة التي شاهدها. وجاء دور الدكتور
سيكيليانوس وهرميون. فشاهدناها يذهبان. وإذا بماريا وفازيلي يهبطان بهدوء
سالكين طريقاً صغيرة تؤدي بهما إلى المرفأ. استرخت ماريا على الجدار الصغير
الذي يحيط بالمرفأ وقالت متتهدة:

«يا لها من حرارة قوية! أهي أموت تعباً برغم أني لم أمش إلا القليل»

رفعت ذراعها وأشارت إلى مكان في منتصف الطريق. ثم أضافت تقول:

«من هناك. المنظر رائع للغاية»

ابتسم فازيلي وقال

«كنا نحتاج إلى بغل لينقلنا إلى فوق»

هزت ماريا رأسها وقالت:

«يا لهذه الحيوانات المسكينة! كيف في إمكانها أن تتحمل وزني الثقيل! لكن
يجب أن تصعدي إلى هناك. إلى فوق. يا ستاسي. وسترين الجزر العديدة المنتشرة
وكأنها حجارة كريمة»

وقبل أن يتسنى لي الوقت للكلام. قال بول:

«سنذهب إلى فوق. اليس كذلك يا ستاسي»

عدت خطوة الى الوراء وقلت:

«لا اعرف... ان الطقس حار جداً و نيكوس متعب للغاية»

حولت نظري والتفت عيناى بعيني فازيلي كان يحمل مظلة سوداء فوق رأسه ورأس مارييا فقال:

«نعم، يجب ان تصعدي وتتألمي المنظر الجميل من فوق. خذي هذه المظلة لتحمي رأسك من الشمس. مارييا وانا سنعود الى اليخت ونصطحب نيكوس معنا وسنرسل الزورق ليأخذكم جميعا، انما و ديميتري وهرميون»

«لكن... الا يمكننا ان نعود معكم الآن؟ اني عطشانة كثيرا»

احنى فازيلي رأسه بوقار وقال:

«من الافضل لو تنتظر هرميون وعنها، وافضل ان اصطحب مارييا الآن في الحال. هذا الحر لا يطاق. هنا، في هذه السلة، تجدان ما يكفي لارواء ظمأكما. بول، اهتم جيدا بستانى»

قال نيكوس:

«وانا اريد ان اشرب الآن»

«هنا في السلة، الليموناضة، والماء المعدنية وبعض السندويشات...»

لم تكن تشعر بالجوع لكننا رجنا بالليموناضة التي قدمها بول لكل منا.

قال فازيلي وهو يرى الزورق الذي سيقلهم الى اليخت

«ها هو الزورق تعال يا نيكوس، سنستقل الزورق الذي سيأخذنا الى اليخت وأملك ستقوم بجولة قصيرة مع بول الى قمة الصخرة ثم نوافينا الى اليخت»

التفت نيكوس نحوي وقال:

«الن تأتي معي، يا امي»

«ليس الآن. ولن اتغيب كثيرا اذهب مع جدك و مارييا سأعود لتناول الغداء معكم»

اضافت مارييا شيئا ما، فابتسم وامسك بيدها.

نظرت الى الزورق يبتعد بالبحر البراق. نحو اليخت. كنت مذهولة. لكنى كنت اشعر باحساس غريب. هل هو الشعور بالفرح؟
وعندما التفت الى الورااء، كان بول واقفاً بقربى يصدق بي من خلال نظارتيه السوداءين. فقال بلطف:

«حسنا»

ولما لم اقل شيئا، اضاف:

«لدينا فرصة للتحدث قليلا. لقد تحاشيت لقائى في الايام الاخيرة. اليس كذلك؟»

«ليس هناك شيء نتحدث عنه. سبق واطلعتك على افكارى. ولم بتغير شيء سوى اننى قررت نهائياً مغادرة الجزيرة مع نيكوس»
«هل تحدثت في هذا الامر مع والدي؟»

«رفض سماعي. قال إن على انتظار نهاية الرحلة»

«هل تريد ان الذهاب للتخلص مني، او للهرب من نفسك؟»

«ربما لأهرب من نفسي»

امسك ذقني وادار وجهي، بجمراً اياي على ان انظر اليه وجها لوجه. اكتشفت تعبير عينيه قال:

«هل تخافين حبي؟ هل تخشين أن تعيش تجربة ثانية، تجربة سعيدة؟ هل تخافين الاستسلام لهذا العالم الجميل. عالم الحب؟»

اخذت اهز رأسي محاولة التخلص من قبضته.

«اعرف، اني ابدو محدودة التفكير ونافهة. لكننى احببت الكسيس. وكانت اجمل تجربة في حياتي. ولا أريد شيئا آخر»

«الكسيس مات. ولست في حاجة لأن تكنفى بذكراه. لم يكن ينتظر هذا منك كان يحب الحياة كثيراً»

بقيت لحظة ساكنة وتذكرت الكسيس، وبهجته وفرحه وحيوته. والسعادة

التي عشناها معاً. ان بول على حق. ولو تسنى له أن يكلمني قبل أن يموت
بلحظة، لكان قال لي: ابدأي حياة جديدة. يا ستاسي. ولكن هل أستطيع تحقيق
ذلك؟

وببطء فتحت المظلة ووضعها فوق رأسي وقال:

«هيا بنا لنصعد الى قمة الصخرة. وفي منتصف الطريق نرتاح ونأمل المنظر
وتتحدث قليلاً.»

بدأنا بالصعود. أخذنا طريقاً متعرجة وصخرية. لا ظل فيها شيئاً الواحد
وراء الآخر اغلق بول المظلة واستعملها كعكاز.

وصلنا الى المكان الذي توقفت فيه ماريا وفازيلي. فقال لي بول:

«والآن سرتاح هنا؟»

«كلا. لنتابع.»

لم اكن قادرة على الصعود اكثر. لكنني كنت اتحاشى الحديث الذي سيدور
بيننا. وفضلت أن اقوم بجهد كبير لأتسلق الصخرة بدل ان اواجه الحيرة مرة
اخرى.

تابعنا الطريق التي صار عبورها سهلاً. لكنني أنتهت الى اننا نهبط في الجهة
الثانية للصخرة. فقال بول:

«من هنا، يمكننا ان نتأمل المناظر الرائعة ونستريح قليلاً.»

البحر اللهباني يحيط بنا من جميع الجهات. ولون المياه يتغير بتغير عمقها.
من الاخضر الفاتح، الى الاخضر الغامق، الى الازرق، الى السحلي والنيلي.
وسطح الماء يتموج قليلاً بفعل رياح خفيفة. الجزر تبدو فضية من بعيد وفوقنا،
كنا نرى بقعة بيضاء. انه اليخت.

تنهدت عميقاً:

«أوه»

ابتسم بول وقال:

«ليست هناك كلمة واحدة تستطيع ان تعبر عن شعور كهذا. هذه هي اليونان.
اليونان القديمة. وهذا البحر، وهذه السماء وهذا النور. اصغى. يا ستاسي.»

أصغيت. لكنني لم اسمع اي صوت إلا صوت الريح قلت:
«لكن. لا اسمع شيئاً.»

ابتسم ووضع يده في يدي وقال:

«اليس هذا رائعاً؟»

واسترخيت في الحال. زال قلقي وخوفي وتوترتي. في هذا المكان الهادئ الساحر.
كنا جامدين، واقفين. يده في يدي. نحدق من أعلى الجبل الى العالم الذي يحيط
بنا.

ولم ينطق بول بأي كلمة. لمدة طويلة. اخيراً قال:
«التجلس قليلاً.»

جلسنا واسندت ظهري الى الصخر الساخن. والمظلة المفتوحة تحميّنا من
الشمس.

«هنا، يمكن أن يحدث أي شيء. انني اشعر برغبة في القفز والتخليق فوق البحر.
وبأنني قادر على تحقيق ذلك.»

التفت الى ووضع ذراعه تحت رقبتي ووجهه قرب وجهي وقال:

«نعم. كل شيء ممكن. حتى ان تسقي الكسيس. وان تحببني كما احبك.»
وفي ببطء ونعومة اخنى رأسه وعانقني.

كان عناقه طويلاً. شعرت بالانفعال نفسه كالمرّة الاولى وكذت افقد وعيي.
صرت ارتجف. فابتعد بول قليلاً عني وهمس قائلاً:

«لا تخافي مني. لن استعجل الامر حتى ولو كنت اريدك. هنا قريباً من السماء
وبعيداً عن كل شيء.»

رفع رأسه ونظر الى. من دون نظائريه. بعينه القانتين. ويتعير لم يسبق لي
ان رأيت مثله من قبل.

ثم راح يداعب وجهي ويقول:

«أريد أن أراك وشعرك منسدل، كأنه يسيل مثل خيوط الحرير الساري. على كتفيك. هل تسمحين لي أن افك كعكتك؟»

«أرجوك، يا بول. لا. لا يمكننا أن تبقى هنا إن الآخرين في انتظارنا.»

«هل نحن مضطران لذلك؟»

أبعد يدي التي مدتها كي أبعد عني وقال:

«أمل أن تكوني لي، لوحدي، في عالم، لا وجود للوقت فيه. وحيث لا يمكننا أن نهتم. لا بالساعات والمواعيد ولا بالناس.»

ساعدني على الوقوف وبدأنا بالتزول. كان بول يمشي أمامي ممسكاً بيدي لكن فجأة، أفلت يده مني، ففقدت توازني. قال وهو يمسكني بخصري كي لا أقع:

«هل تشعرين بألم؟»

فنفضت الغبار عن سروالي وقلت:

«لا لكن جلدة خذائي انقطعت.»

وكلما مشيت، كان الحذاء يفلت. حاولت المشي من دونه، لكن الصخور كانت قاسية وناتئة. انتعلت الحذاء من جديد وتدبرت أمري.

قلت:

«لقد اضلعت وقتاً كبيراً.»

اجاب بول:

«لا احد ينتظرنا.»

«لا أحد! لكن الدكتور سيكيليانوس وهرميون عادة ولا شك من المغارة.»

«انظري. ليس هناك احد. ولا زورق ولا شيء.»

نظر الى الساعة وقال:

«إنها الثانية إلا ربعاً. لا شك أن الزورق أخذ الدكتور سيكيليانوس وهرميون وسعود ليأخذنا.»

كانت الشمس الالهة تبهتنا. فوضعت يدي فوق جبیني ورحت انظر الى البحر.

«أين اليخت؟ لم اعد اراه؟»

اشار بول قائلاً:

«هناك، بعيداً. شيء ما يشبه اليخت، وراء قوارب الصيد.»

حدثت في المساحة الزرقاء وقلت:

«لا. لا يمكن أن يكون اليخت هناك.»

«لا. لا أقصد هذه الباخرة الكبيرة. اني اشير الى هذه النقطة البيضاء الصغيرة.

الى اليمين. لكن ماذا يفعل اليخت هناك؟ ولماذا تركونا هنا؟»

«لا يمكنهم أن ينسونا بهذه السهولة. يعرف فازيلي تماماً اننا هنا. فقد ارغمنا على الصعود الى هناك.»

«أه، سيمودون في اليخت. لكن لماذا؟ ربما والدي اعتقد اننا نريد أن نمضي وقتنا أطول هنا؟»

«ما كان يجب أن نبقى طويلاً.»

امسك بول بيدي وقال:

«هل هذا مهم جداً. سنبقى هنا، بعض الوقت. وأنا سعيد بأن تكوني معي.»

«شرط ألا يقلق نيكوس علي.»

«لا. فازيلي، ماريان، هرميون، الجميع سيسلمونه. لقد سبق وتركته لوحده عندما

خرجت مع مايك هاردينغ.»

«هذا امر مختلف.»

«لا اعتقد. او لأنك تفضلين أن تبقي وحدك مع مايك.»

«قلت لك، ان هذا مختلف. كان كل شيء متفقاً عليه مسبقاً. ونيكوس كان يعرف

أني خارجة لقضاء طيلة النهار خارج القللا.

ابتسم بول بحزن ورفع يده نحو الأفق وقال:

«سيفهم. لم أعد أرى اليخت. حتى ولو عاد الآن. فستنتظره طيلة بعد الظهر كي يصل إلى هنا».

«لكن. لا يمكننا أن نبقى هنا».

هز بول رأسه:

«اعتقد أننا سنضطر إلى البقاء هنا. ماذا تريدان أن نفعل الآن؟ هل أنت جائعة؟ تفضلين أن نأكل الآن. أو نسبح. تعالى نبحث عن زاوية في الظل».

«لا يهمني ما يمكن أن نفعله. لكنني أشعر بالحرق الشديد».

«اذن هيا نسبح. سأحمل الطعام إلى فوق. وفي هذا الوقت. ترتدين بذلة السباحة».

شاهدته يتسلق الصخر. فخلعت سروال الجينز وارتديت بذلة السباحة قبل أن أدخل قميصي. ليس هناك شاطئ. فالصخور تنحدر في البحر. وبيطه انزلت على الطحلب الأخضر. فتناداني بول وكان يرتدي المايوه وشعره يلمع تحت الشمس. «انتهى. هذه الصخور خطيرة. لاتفطسي».

انزلت على الصخور إلى أن وصلت إلى المياه العميقة ولحق بي بول وسبحنا معا في الخليج.

الماء فاتر قرب الصخور. وكلما ابتعدنا عنها أصبحت باردة. كنت أود ألا أعود إلى الأرض الصلبة.

تعبنا فقررنا العودة إلى الصخرة حيث كانت المناشف في انتظارنا.

«إن الماء لشيء رائع حقاً».

لكن عينيّه كانتا تحدقان بخصلات شعري النارية التي تسدل كالشلال على كتفي.

«أنتك تشبهين حورية البحر. ابتها المرأة الفاتنة».

«صحيح؟»

شعرت بالارتياك أمام نظراته الوقحة. كنا وحيدين في هذه الجزيرة.

«لا شك أنك جائعة بعد هذه السباحة الطويلة؟»

«قليل».

«أنا جائع. هيا نأكل».

فصعدنا إلى قمة الصخرة وبدأت مايوهاتنا تحف في هذا الحر الشديد.

فتح بول سلة الطعام. كان فيها فاكهة البطيخ الأصفر. مقطعة قطعاً صغيرة. ولحم بارد وخبز طازج وسلطة بالقلقل الأخضر. وبيض مسلوق وبعض الحلوى والفاكهة. شربنا عصير الليموناضة المشبعة.

وبعد أن انتهينا من الطعام قال بول:

«والآن. لنأخذ استراحة وننام».

وضع قميصه القطني تحت رأسي وقال:

«هل أنت مرتاحة هكذا؟»

كنت متعبة غير قادرة على النطق. غمد ووضع يديه تحت رقبته وقال:

«عندما تستيقظين. يكون اليخت قد عاد».

«أمل ذلك».

وعندما استيقظت كان بول واقفاً مستنداً إلى حافة صخرة. وجهه نحو

البحر.

جلست وسألته:

«هل ترى اليخت؟»

«كلا».

فانتفضت واقفة وقلت:

«إنها الساعة الخامسة. يجب أن يأتوا للبحث عنا».

«لا تضطربي لدينا منزع من الوقت. ما زال ضوء النهار ساطعاً».

«لكن لنفترض أنهم لم يعودوا. ولنفترض أننا سنمضي الليل هنا».

ابتسم في سخرية وقال:
«واذا افترضنا ذلك فماذا يحصل؟»

«آه، أرجوك. لا تمزح معي!»

نظرت الى المحيط وقلت:

«أهذا هو اليخت هناك بعيداً؟»

هز رأسه واجاب:

«كلا. انها سقينة اخرى.»

امسك بيدي وجذبني نحوه.

«هل انت قلقة على ليكوس... او علينا نحن؟»

«نحن!»

كان وجهه قريباً جداً من وجهي. ولم اكن قادرة على تحويل نظري. شيء في داخلي يقول لي بأنني اريد بول. وسأستسلم له. لكنني قاتلكت نفسي وقلت:
«لا. هذا امر مخالف. لأننا...»

فاقترب مني وشدني بقوة نحوه. فقلت:

«ماذا تريد؟ لا. لا. لا يمكنك...»

«لكن، بلى. يا حبيبتي. الآن وهنا.»

بدأت ركبتي ترنجان. شعرت بقوة خارقة تجذبني. لا استطيع مقاومتها. ولا استغرابي. انتصب بول وقال:

«من الافضل أن نعول الى المرفأ. الهواء منعش هنا.»

ومن دون أن ارد عليه، جمعت اغراضي وتبعته وهو يهبط في الطريق المتعرجة. سألني وهو يحمل السلة:

«هل تريدان أن نشرب شيئا؟»

«كلا شكراً.»

الحز كان لطيفاً. وكنت ما ازال ارتدي بذلة السباحة وقميصي المقلّم فوقه.

والشمس تلقي اشعتها الذهبية وهي تغيب.

«سأسبح مرة أخيرة. لكن... لكن...»

ترددت وأنا احدى في البحر افتش عن اليخت. فقال بول:

«لم يظهر اليخت بعد. سيحل الظلام قبل أن يصل.»

«هذا اذا وصل.»

هز كتفيه وقال:

«سيأتي. لكن ذلك يحتاج الى بعض الوقت.»

«اذن. لنسبح قليلاً. ثم نرتدي ملابسنا وننتظر.»

رحنا نعوام في المياه الشفافة. اشار بول الى مكان في يده وقال:

«وما رأيك لو نذهب الى المغارة؟»

«اليس المكان بعيداً؟ يمكن أن يصل اليخت في هذا الوقت.»

«سبق وقلت لك، انه لن يصل قبل ساعات والمغارة قريبة من هنا.»

«لكن، لا أريد أن اسبح تحت الصخور.»

قهقه وقال:

«لن ارغمك على ذلك. سنسبح تحت القبب ونستريح على الصخرة قبل أن نعود.

هذا يجعلنا نستهلك الوقت بدل الانتظار.»

«حسنًا. اذا كنت متأكداً من اني قادرة على ذلك...»

«هيا بنا. وخذي وقتك. سأساعدك.»

كان بول على حق. لم يكن المكان بعيداً والمياه كانت منعشة. فلم اشعر بالتعب ابداً. قطعنا القبة الاولى ثم الثانية.

«ساكتفي بالبقاء هنا.»

ثم تسلقت الصخرة المجاورة. جاء بول وقد دب يقربي. وبعدما داعب خدي،

رفع شعري عن كتفي وقال:

«ان شعرك كالحرير. لم ار مثله من قبل بهذا الجمال.»

الحر الشديد ولي. لكن اشعة الشمس ما زالت تدق جسمينا جفت مايوهاتنا
بسرعة. هنا لا يمكن ان يرانا احد. وفوقنا تعكس القبة ظلالا زرقاء في البحر
الذهبي.

لم يكف بول عن ملامستي بنعومة. ولدة طويلة. كنا ننظر الى بعضنا ثم
مد ذراعه تحت عنقي وشدني نحوه وقال:

«ياحبي. اني احبك. لا تخافي مني. ولا من نفسك. هذه اللحظة لا تنسى».

ثم عاتقني ولفتنا الامواج.

رحت اتخبط للتخلص منه. فهمس يقول:

«استرخي يا حبيبتي».

فقدت وعيي وتركت الامواج تصطحبني في حركتها. شعرت بنفسي اثارجح
واهتز كأن شيئا يتقاذفني. الى ان فقدت وعيي. ثم وجدت نفسي قرب بول.
اعوم على سطح الماء.

استقبلنا ساحل قاحل وهادي. كنا متعبين. ممددين. ذراع كل منا في ذراع
الآخر. بينما كانت الشمس تغيب تدريجيا وراء الافق الرائع.

٨ - الكلمات وحدها لا تكفي

استيقظت من حلم لم يسبق لي ان عشت مثله. ولا حتى مع الكسيس. مع
بول كل شيء كان دافئا وناعما.

مع بول. انها النشوة. لحظة الذوبان الكامل. شعرت ببول يمسك بيدي
ويضعها على فمه ويقول:

«احبك. يا حبيبتي. اكثر مما كنت اتصور. هل تسامحينني؟ لقد تغلبت عليك كي
انقذك».

قلت وانا اداعب خدك؟

«اعرف. وانا احبك يا بول. لقد حررتني من كل الضغوط».

«هل تتزوجيني؟ ماذا ننتظر؟»

ابتسم وهو ينظر الي في حنان. ثم اضاف:

«ابي سيفرح بنا كثيرا».

اجتاحني ارتعاشة وقلت:

«والدك؟ لكن... لكنه يريدك ان تتزوج من ليذا. بول. ليذا... ستصاب

بصدمة عتيقة».

تردد لحظة قبل ان يقول:

«لا اظن ذلك. لست متأكدا. كنا صديقين منذ الطفولة. ليذا فتاة متفهمة.

سأحدثها قبل أي إنسان آخر»

«قبل والدك! أرجوك. حدثها قبل أي إنسان آخر»

«كما تريدن. سنصل إلى رودس غدا أو بعده. وسأفتح ليدا بالامر. وبعدها

نخبر الجميع. أنت جميلة جدا ومشعة...»

«أه. يا بول»

«سيصل اليخت قريباً وعلينا أن نسبح حتى المرفأ»

سأعذني على النهوض. رحت أحرق في المحيط وأقول:

«ليس هذا هو اليخت. هناك. قرب الجزيرة»

«نعم. ان الحضارة تعود إلينا»

ارتدينا ملابسنا في عجلة وجلسنا على حافة الصخرة. جنباً إلى جنب. ورحنا

نتأمل اليخت الذي يقترب نحونا. وتداول أحاديث العشاق. فسألته

«هل عشت تجربة الحب من قبل؟»

«لم أقع في الغرام حتى الآن. صديقي. يا ستاسي. ان ما أقوله صحيح ما أشعر

به الآن يؤكد لي ذلك. لكن انت أحبيت الكسيس. اني اغار لاني كنت أفضل

لولا لم تكوني ملك أحد غيري. هل في امكاني ان أطلب منك ان تسيه؟ أريدك

ان تحبيني اكثر»

التفت نحوه وقلت:

«سأحبك دائماً»

رفع خصلات شعرى عن جبينى. فقد هبت ربيع خفيفة.

«ولن ترى صورته في وجهى»

«انت... انت... سأذكر الكسيس دائماً لأننا احببنا بعضنا وكنا

سعيدين جداً»

رأيت بول يرفع حاجبيه. فقلت بسرعة

«لكن كل هذه الاحاسيس هي ملك الماضي. ليست سوى حلم. شيء حصل لي

عندما كنت صغيرة»

لان وجهه وقال مارحاً:

«هل تعتبرين انك كبرت جداً؟»

«لقد تغيرت»

«انت امرأة. يا ستاسي. اجمل واعظم امرأة. لكن انسى ابدأ هذا

اليوم. حبك شيء رائع ولغز...»

استمر الحديث بيننا على هذا المشوار. ورحنا نكتشف بعضنا البعض. نتبادل

الآراء والافكار. ثم لوح بول بيده وقال:

«انظري الزورق في طريقه إلينا»

شدني بكل قواه نحوه وقال:

«لن اطيع ان اتفاسك مع الغير. ولن يكون سهلاً ان اكون في قريك وانصرف

كما لو اننا لم تكن صديقين. حبيبين. بينما أريدك بقربي. من اجل فقط. من اجل

ان احبك»

وبعد قليل. اصبحنا على متن اليخت. كان فازيلي في انتظارنا وعلى شفتيه

ابتسامة ساخرة.

«أرجو أن تسامحني لاني ذهبت من دونكما. فقد حصل سوء تفاهم. الطبيب اعتقد

انكما على متن اليخت. بينما كننا ما تزالان في قمة الصخرة. ولما لم تكونا على

مائدة الغداء. كنا قد اصبحنا في عرض البحر متجهين نحو جزيرة صغيرة أراد أن

يزورها ديمتري وفكرت بأنكما لن تنكما اذا ما امضيتا النهار كله في جزيرة

كوسيانيه.

كان ينظر إلى في عينين ناغمتين. وللحظة اعتقدت ان في امكانه قراءة ما يجول

في افكارى. وانه يعرف تماماً ما دار بينى وبين بول. فاجرت وجنتاى خجلاً.

وارتكت. ثم قلت:

«نعم... كانت الجزيرة ذات اهمية كبيرة. لكن الطقس كان شديد الحر»

«لا شك انكما عثرتما على مكان في الظل كما تركنا سلة المأكولات فلم ينقصكما شيء». البس هذا صحيحا يا بول»

«نعم يا ابي لكن ستاسي كانت قلقة جداً على نيكوس»

قطب فازيلي حاجيه وقال

«ولأي سبب؟ كان سعيداً ونحن نهتم به كما يجب. والآن اذهبي يا ستاسي. ربما انت في حاجة الى تغيير ملابسك والاعتسال قبل العشاء»

نزلنا بسرعة الى الغرفة وبول أمسك بيدي ويضغط على اصابعي

«ستحدث بعد العشاء ولا شك اننا سنجد الفرصة لنكون وحدنا. ها هي ماريا مرحبا»

اغلقت ماريا باب غرفتي وراءها وقالت

«بذلت جهدي كي أسلي ابنك. لكنه كان ينتظر عودة والدته. كان حزينا جداً. لم يفهم السبب الذي أجبرك على البقاء في جزيرة كوسيانيه. حدث سوء تفاهم. كما يقول فازيلي»

خلال العشاء ما من أحد لاحظ صمتي. الدكتور سيكيليانوس يتحدث عن اكتشافاته والصور التي التقطها كان نظري يشتبك احيانا بنظر بول. كنت شديدة التعب... وفضلت قبل كل شيء الذهاب الى النوم. فالوقت متأخر. لاحظ فازيلي ذلك فقال

«ستاسي متعبة من دون شك. كان النهار قاسياً. اننا نفهم انك تودين الانسحاب الى غرفتك باكراً. يا عزيزتي»

«شكراً»

كنا جالسين على سطح السفينة. تحت سماء مشعة بالنجوم والهواء كان منعشاً. وقفت واعتذرت وقتيت ليلة سعيدة للجميع نهض بول في الوقت نفسه وقال «سارافقك يا ستاسي. هناك شيء أريد ان أخذه من غرفتي»

تبعتنا فازيلي بنظراته الحادة كان بول قد أمسك بيدي وقال

«حبيبتي. هذا العشاء كان طويلاً. وكنت أفضل ان اكون وحيداً معك»
«وانا كذلك. لكن يجب ان نحتفظ بالسر. خلال الايام القليلة القادمة. الى ان نكون قد اطلعت ليذا على الامر»

كما قد وصلنا الى غرفتي. جذبني بول الى ذراعيه وعانقني في شدة وأنا عانقته بدوري في الشعال واستسلام تام. ثم تحررت من عناقه وقلت لاهته
«يجب ان اذهب الآن يا بول. قد يسمعون نيكوس»

وسمع يده على حدي وقال

«ياهي جيداً وخلصي بي يا حبيبتي»

«افكر دائماً قبلك وسأحلم بك»

قبل يدي وداعاً

«تصمحين على حين يا حبيبتي»

«تصمحين على خير يا بول العزيز»

اغلقت انا باب يدي وسعدت نيكوس يتحرك. ثم فتح عينيه الناعستين

وقال

«أعني؟»

«نعم يا حبيبتي. أنا الماما»

رفعت شعره عن جبينه وانحنيت لأطبع قبلة على جبينه وقلت:

«انا هنا. ثم يا حبيبتي»

اغضض عينيه يدهاء وغرق في سبات عميق

في اليوم التالي. لم يقارضي لحظة ورفض نهائياً الابتعاد عني. احب بول واريد ان ابقى وحدي معه. لكن نيكوس هو الاهم في الوقت الحاضر.

وصلنا في اليوم التالي الى رودوس في الساعات الاولى من النهار الشمس كانت ساطعة والسماء زرقاء كالعادة. كان المرفوياً والهواء خائفاً. اقتربنا من جزر دوديكانيس. ثم انعطفنا الى جهة الشرق. نحو سواحل تركيا.

لاحظت ماريما التغيير الذي حدث لي فقالت:

«تدين في أحسن حالاتك بالأمس كنت شديدة التعب. واليوم أنت... أنت متألقة»

«نمت نوماً عميقاً»

«كنا نسيح. نيكوس وأنا. عندما لحق بنا بول فقال هامساً

«حوال العاشرة من هذا المساء ستلتقي على سطح اليخت. قرب الزورق. أريد أن أمضي بعض الوقت معك»

«سأنتظرك هناك نيكوس. ها انذا هنا. تعلق بي»

«سأخذه عنك قليلاً» فقال. أصرعد الى ظهرى. سنلعب لعبة حصان البحر. وانت تفودنى»

ووسط أصوات الفرح. صعد نيكوس على كنفى بول وتعلق برقبته بقيت وراءها. فنادانى نيكوس:

«تعالى أنت ايضا يا امي»

وبعد الغداء. توجه كل منا لأخذ قسط من الراحة. وفي المساء. بينما كان نيكوس نائماً. تناولنا العشاء كالعادة واحتسينا القهوة مغلفين بسحر الليل وطراوة الجو.

ماريما والدكتور سيكيليانوس وهرميون نزلوا الى قاعة الاستقبال ليلعبوا البريدج ولما حان موعدى مع بول. تركتهم وصعدت الى سطح اليخت. انتظرت عشر دقائق. لكنه لم يحضر. انتظرته وأنا أتأمل الاصواء الساطعة على الجزيرة. فجأة انتفضت لدى سماعى صوتاً قريباً منى. فقلت:

«بول؟»

لمع بريق احمر في العتمة. كان صوت فازيلي وهو يقول:

«هذا أنا. هل تنتظرين بول؟»

«انى... لست متأكدة. قال... انه ربما جاء الى هنا»

اقترب فازيلي منى وأشار برأسه قائلاً:

«لقد تأخر. تسلمنا رسالة بواسطة الراديو. انه منهمك الآن في قضية صغيرة. اخشى ان يكون هذا الذي جعله يتأخر عن مواعده. هل في امكانى الحلول محله والبقاء معك الى ان يعود؟»

لاشك ان فازيلي على علم بهذا الموعد. لم أكن أعرف ما أقوله. ففضلت الصمت. عيناى محدقان في السماء المنجمة والقمر الذهبى. سحب فازيلي محبة من سيكاره والتفت نحوى وقال:

«انى احبذ هذه الصداقة بينك وبين بول. انكما تبدوان على اتفاق تام. أمل ان يكون لي خسلع في هذه العلاقة. وانا اعترف باننى لعبت دوراً على طريقتى لأفصح لكما المجال للتعرف الى بعضكما البعض ملياً»

«ماذا؟»

ابتسم وقال:

«نعم. قصدت أن اتركها وحيدى. امس. في جزيرة كوسيانيه. كنتما في حاجة الى الوقت والى الوحدة. لتعالجما... مشاكلكما. كنت على حق. اليس كذلك؟»

حدقت فيه غاضبة. مشمزة مرة اخرى. كنت أداة مقرراته.

«ماذا يجري؟ هل جرحت شعورك؟ صدقيني. يا ستاسى. انى اتمنى لك كل خير. لك ولبول. انى احاول فقط مساعدتك على ايجاد السعادة التى تتمنينها»

نفض رمد سىكاره وقال:

«بول واقع في غرامك. وانت كذلك. لايمكنك أن تخفى ذلك. ان شعلة الحب تلمع في عينيك. وانا سعيد. يا ستاسى. واتمنى ان تتزوجى من بول»

«هذا يتعلق بليدا. لم تقرر شيئاً بعد. ما دام بول لم يحدثها فى الامر بعد. انها تحبه ومن العار ان نفكر بالزواج قبل ان يقاتحها بول بالامر...»

قطب فازيلي حاجبيه وقال:

«لا. ليس هناك أى مجال لحصول زواج بين بول وليدا. منذ وقت قصير اطلعتك

على بعض الصعوبات التي تعترض حصول مثل هذا الزواج. لا أريد أن يتزوج بول من ليدا. اني اعارض هذه الفكرة بصورة نهائية ولا عودة عن قرارى. لقد علمت انها غير قادرة على الانجاب...

«يا لها من مسكينة. هل هي على علم بهذا الامر؟ هل هي التي اخبرتك بهذا؟»
هز رأسه وقال:

«انها لا تعرف شيئاً. اطلعتني على النيا الدكتور سيكليانوس. كما تعرفين. تعرضت ليدا منذ عدة اشهر الى حادث في السفينة وقد اصببت في ظهرها. فاضطر الاطباء الى تصويرها بالأشعة. وبعد انتهاء العلاج لوحظت حالتها وعرفنا بالنيا».

عارضت ما يقول وقالت:

«لكن الدكتور سيكليانوس لم يعد يمارس الطب. كما انه يقضى سراً طبيباً»
«هل نسيت أنني وصى عليها. واني أول من يجب ان يعلم بكل شيء. فما يخص صحتها. كما أن ديمتري هو الطبيب الذي اهتم بها منذ اصابته الى أن شفيت وهو يعرف جيداً ما يمكن للأشعة ان تفعل في المرأة»
«لقد فهمت».

«سوف تعلم حالتها. عاجلاً أم آجلاً. كما ان هناك امكانية اجراء عملية جراحية. لكنها ستظل ضعيفة وعاجزة عن انجاب العديد من الاولاد».

حدق بي في انشياء ثم قال:

«هل تفهمين أي صدى يمكن ان يحدثه هذا الزواج. انها مصيبة عظيمة. ولحسن الحظ. ان بول وقع في غرامك. انت».

قلت مدافعة عن ليدا. وعن حقوق المرأة عامة.

«لكن لنفترض انه كان يريد ان يتزوجها. اذا كانت غير قادرة على الانجاب. ففي امكانها ان تتبنى العدد الذي تريده من الاولاد. واذا كانا يتبادلان الحب ففي امكانها ان يكونا سعيدين».

اطلق فازيلي زفرة تعجب وقال:

«انت لا تعرفين ماذا تقولين. على الرجل ان يتجنب الصبيان. وفي اليونان. لا تكمل المرأة دورها وواجبها اذا لم تنجب الاولاد. انه تقليد قديم. تقليد بلد فقير. الامن المثقف له حظ في النجاح في الحياة. وفي ان يكون له مهنة محترمة تجعله قادراً على أن يكسب الشرف والرفاهية لعائلته. اما الفتاة فانها عبء. لذلك اصبح من المألوف أن يعطى للفتاة مهر لكن. في العائلة الفقيرة. ولادة ابنة هي بمثابة بدء الصعوبات في المستقبل».

«لكن هذا كله يداني للغاية».

«نحن في بلد بدائي. وحتى الناس المتحضرون ما زالوا يحتفظون بهذه القيم البدائية. وانا لا اختلف ابداً عن أي مزارع فقير. عندما أريد ان يتجنب ابني البنين ليحصلوا اسم عائلة كرفيليس من أجل ان يعملوا في هذه التركة البحرية الكبيرة التي أوجدتها بنفسى. انت امرأة محظوظة. يا ستاسى. لأنك انتجت ابناً. هل تذكرين قصة تلك المرأة الرومانية القديمة التي لم تكن تلبس الخلى. بل تظهر ذاتياً يرافقها اولادها؟ وعندما يسألها البعض اين مجوهراتها. كانت تجيب: «هذه مجوهراتي» وهي تدل على اولادها. ان نيكوس لؤلؤتك الثمينة. وستنجين غيره. من بول».

«متى عرفت بحالة ليدا».

«منذ شهرين. او ثلاثة. لكن هذا لا يهم».

ثلاثة اشهر اي في فترة تسلمى الرسالة التي دعانا فيها فازيلي لزيارة ميلابنوس اذن. اراد فازيلي ان يتعرف الى نيكوس. ليس لأنه يرغب في ذلك. بل ليتأكد ان في امكانه الاشراف على حماية حفيده الوحيد. والان. وقع بول في غرامى وهذا يفرح الوالد. الامور اصبحت افضل بكثير مما كانت عليه. في ما يختص بفازيلي:

انتابني شك رهيب. ربما هو الذي دبر وشجع ما حصل بينى وبين بول.

تذكرت عودة بول غير المنتظرة عندما ذهب الى اثينا قبل ايام قليلة. وتذكرت ايضا لقائنا في حديقة برسفوني. ماذا لو كان فازيلي هو الذي طلب من بول اغرائي؟

لكن بول يجنني فعلا وانا احبه. وهو لا يعرف شيئا عن حالة ليذا... وعن هذه الحاجة الاساسية لانجاب و تربية الاولاد!

كنت اراقب فازيلي وهو يدخل سيارته. هذا الرجل الذي في امكانه ان يصبح عمي. مرة ثانية. هذا المخادع المحتال! شيء مرعب حقاً. ان اكون جزءاً من مخططاته وحيله ومكائده. وان اخضع له واحمله كل حياتي! لا يمكنني ان احمّل التفكير في ذلك. فكيف اذا مارسه. يجب التهرب منه. اني احب بول. ولكن هل احبه بما فيه الكفاية كي اضحي بحريتي؟

وكانه قرأ ما يجول في خاطري. فاستطرد يقول:

«يبدو لي أننا اتخذنا قرارنا في ما يتعلق برحيلك او ببقائك الدائم في ميلانوس وستسكنين معنا في فيللا مارمارا».

ازحت نظري عنه وقلت:

«انت سريع في اتخاذ القرارات. لاشيء مؤكد حتى الان. وهناك ليذا. كما قلت لك».

«بول وليذا ليسا مخطوبين».

توقفت فجأة عن الكلام. لدى سماعه خطوات تقترب على سطح البازو.

«اني اسف يا ستاسي لاني جعلتك تنتظري. طراً على عمل على انجازه. او هذا ابني لم اكن على علم بوجودك هنا».

ابتسم فازيلي وقال:

«جئت اعلم ستاسي بتأخرك. والان سألتحق بالآخرين الذين ينتظرونني للعب البريدج».

انحنى ثم قال:

«تصبحين على خير. يا عزيزتي».

في الظلام كانت عيناه تلمعان برارة. وما ان اختفى عن الانتظار حتى اقترب مني بول واخذني بين ذراعيه وقال:

«جيتي. ساحبيني. لقد انتظرت طويلاً هذا اللقاء».

عانقني في حنان وكدت استسلم له. لاشيء آخر بهم. فقد اختفى خوف وشكوكي بتأثير عنف هذا الحب.

قال بول وهو يطبع قبلة ناعمة على عيني وعلى شعري:

«يا الهي كم احبك. لو كنا الآن في المغارة. بدلاً من ان نكون في هذا البخت الخالي من اي مكان متعزل. عندما نتزوج. يا حبيبتي. سأنتزعك من هذا العالم. سنذهب الى جزيرة. الى فيللا أحد الاصدقاء وسنكون وحيدين تماماً».

سألته في هدوء:

«ونيكوس؟ اين سيكون؟»

تردد لحظة ثم قال:

«مع والدي. او مع ماريلا. ان والدي يحبه كثيراً. لكنه لن يكون معنا».

يا حبيبتي. حتى ولو كنت اعتبره مثل ابني. لن يأتي معنا في شهر العسل».

«طبعاً. لكنه لن يفهم السبب. ما سبق أن تركته يمضي ليلة واحدة بعيداً عني. منذ وفاة الكسيس».

جذبني نحوه وقال:

«يا ستاسي. ابتها المرأة المسكينة الصغيرة. لقد فضيت اياماً تعيسة وقاسية. واريد ان اجعلك تسين هذا العذاب. انت ونيكوس».

اصبح يتكلم في جدية. اذ قال:

«سأحب نيكوس مثل ابني وسأفعل كل ما في وسعي لأن اجعله سعيداً».

كلماته وخاصة عندما يقول ابني كانت تذكرني بليذا. ان وضعها مأساوي. لن يكون في استطاعتها الانجاب. واذا كانت تحب بول. فستخسرهُ هو ايضاً.

احسنت بالذنب. لم اكن قادرة على أن ابحث مع بول في مشاريع المستقبل.
وليدا في ذاكرتي.

ابعدت بول عنى وقت.

«يجب ألا نبقي هنا طويلاً. سيبحث عنا الآخرون. ان والدك على علم بكل شيء.
وهو موافق على زواجنا».

«هل انت مستغربة؟ لا شك ان الجميع لاحظوا سعادتنا. ووالدي موافق، طبعاً».
«وهو قال لي ذلك منذ برهة لكنني اعتقد انه يأمل هكذا في المحافظة على
نيكوس في قربه».

«حبيبتى. ليس هذا ما يريد فقط انه يحبك انت ايضا وهو معجب بك كثيراً.
لا يمكن لأحد ان يتنصع من الوقوع في حبك والاعجاب بك».
ابتسمت وقت.

«انت تحكم مسبقاً على الامور».

«ربما في رأسي فكرة وهي أنك اجمل امرأة».
«أه، يا بول».

وضعت وجهي على كتفه لاحتسي به وقت.
«اريد ان اجعل منك رجلاً سعيداً، لكن...».

وضع خده على شعري وقال:
«ليدا».

«نعم... ووالدك ان حبنا هذا جزء من مخططاته».

اسك بول ذفتي وقال:

«دعك من هذه الافكار كان والدي يريدني أن أتزوج من ليدا».
فتحت فمي لأقول «لم يعد يريد ذلك بعد الآن».

لكن الكلمات لم تخرج يجب ألا ابوح بسر ليدا ولا حتى لبول بالذات.
«ارجوك ان تعلم ليدا بالامر، معبراً بذلك عن صدقك».

«حسناً. سأحاول أن اخبرها بالامر غدا عندما نصل الى رودوس. والآن ما رأيك في
ان تذهبي الى غرفتك».

«سأفعل حتى وان كنت سأحزن لفراقك. يا بول».

«اود البقاء معك في كل لحظة من النهار... ومن الليل».

«عائفتي مطولاً وكدت افوب بين ذراعيه».

مرت الايام في زيارة جزيرة رودوس لم ابق في قرب بول الا لحظات
معدودة. وصباح وصولنا بعد ان تناولنا الفطور. جاءت ليدا على متن سفينة
راوول. الراسية قرب سفينة فازيلي. في المرقأ الكبير.

وعندما رأيت الفتاة ووجهها المضيء بابتسامة واسعة شعرت بالكآبة. وضعت
يديها على كتفي بول لتقبله. ورأيتته يرد بابتسامة مماثلة. ماذا افعل هنا. بين
هذين الشخصين؟

كانت ليدا تشع بشوبها الابيض المخزم باليد برسوم خضراء. شعرها الطويل
يغطي كتفيها ويتدلى خلق من الزمرد من اذنيها. بعدما حيت فازيلي وماريا.
توجهت نحوى ووضعت خدها المنعش على خدي وقالت:

«صباح الخير يا ستاسي. تبدين في احسن حال. الرحلة اعجبتك. على ما اظن».
«انها رائعة».

اقترب نيكوس منا. ولدة غير قصيرة. كانت الفتاة تحديق فيه وعلى وجهها
تعبير غريب. ثم وضعت يدها على شعره وقالت:

«لوحت الشمس بشرتك. يا نيكوس. كم تبنو جيلاً».

استعدت وحيانا راوول بدوره. ثم سمعت ليدا تهمس قائلة لفازيلي:
«اتيان وهيلين في انتظارنا في فندق الورد. حيث سنتناول طعام الغداء معها».

قال فازيلي:

«هل اشرفت على حجز السيارات لهذا الغرض؟»

«نعم. كل شيء منظم».

للمرة الأولى لاحظت أن نظرات ليدا حزينة جداً رغم ملابسها وزينتها الرائعتين. واحسست تجاهها شعور بالذنب. ماذا لو كانت تحب بول... بقيت معه اكبر وقت ممكن. تتحدث اليه واضعة يدها على ذراعه. ووجهها قريب جداً من وجهه. كأنها تريد أن تذوب فيه.

قبل الانضمام الى هيلين وأتيان. قمنا بزيارة المدينة. ثم ذهبنا الى ليندوس على الشاطئ الشرقي من الجزيرة قبل أن نعود الى اليبخت لتناول طعام العشاء. كانت هناك سيارتان. صعد فازيلي وماريا وديتري وهرميون في إحداها. وليدا وراوول وبول ونيكوس. وأنا في الثانية. وقمنا بزيارة المتحف الذي كان في الماضي مستشفى الفرسان. واجتازنا مدينة رودوس القديمة وحيها التركي وشوارعها الصغيرة المنيعة بالقناطر وأسواقها الصغيرة وجوامعها وسبل الماء الرنانة والمتعشة في هذا آخر الشديد.

ثم توجهنا الى المحي الحديث. وإلى مرفأ متدراكي والطواحين الهوائية. ومرة الصباح بسرعة الى ان حان اوان الانضمام الى أتيان وهيلين. في فندق الورد. حيث قدم لنا غداء لذيذ مؤلف من الواجبات المحلية الشهية والقهوة التركية. وعندما بدأنا بالاستعداد لزيارة ليندوس. تم الاتفاق على أن يستقل بول وليدا وهرميون وراوول سيارة. وصعدنا انا ونيكوس في سيارة فازيلي وماريا والدكتور سيكيليانوس. ورأيت ليدا تضع يدها على ذراع هرميون وتتقدم نحو السيارة. تردد بول. ونظر إلى. ثم نادته ليدا فقبل عرضها. فأقلعت السيارة الأولى.

ومرة النهار على هذا المتوال. كلما أراد بول أن يقترب مني ليحدثني كانت ليدا تلحق به. وكلما أرادت الجلوس. كانت تلح على بول أن يجلس في قريتها. وكان بول لطيفاً وعادياً. ومرة. اشتبك نظري بنظره وبدا كأنه يريد أن يقول: ماذا يمكنني أن أفعل؟

تركتهما معا وحاولت الاهتمام ببقية افراد المجموعة. تحدثت مع ماريا التي

أخذت تصف لي ليندوس التي زارتها مرات عديدة.

بدأ نيكوس يشعر بالتعب والارهاق وبيننا كنا عاندين الى رودوس. وضع رأسه الصغيرة على ذراعه خلال الرحلة. ولما وصلنا الى اليبخت. ساعدته في اخذ حمام سريع ووضعته في سريره باكراً تناول الجميع طعام العشاء على متن سفينة فازيلي وفي اليوم التالي. تناولنا العشاء على متن سفينة راوول الذي ذهب بعد ذلك الى اثينا. ثم الى مارسيليا.

وفي اليوم التالي. استمرت الزيارات. لكن الاتفاق تم على أن ابقى مع ماريا. في الحديقة الكبرى حيث يمكن الاسترخاء وسط الازهار والتأثيل والبرك. كنا جالسين. ماريا وأنا. تحت ظل احد الاشجار الكبيرة كنت احاول ألا افكر في بول. لكن ماريا لاحظت شرود ذهني فقالت:

«إن افكارك اليوم غير مركزة كأنك لا تفكرين بي أو نيكوس».

«بلى. اني سعيدة أن اكون معك ومع نيكوس».

«لكنك تكونين اسعد اذا كنت مع بول. كان يريد أن يأتي مكاني. اتعرفين ذلك؟ لكن ليدا رفضت لأنه سبق ووعد باصطحابها الى ايليزوس ليربها كنيسة القديس جرجي».

«اتعتقدين أن ذلك هو السبب؟... هل ما زالت تحبه؟»

هزت ماريا كتفيتها المدورتين تحت فستانها الحريري الابيض والكحل وقالت: «ربما ما زالت تأمل فيه انها لا ترى أحداً غيره. مثلاً راوول المعجب بها كثيراً».

«راوول؟ لم لاحظ ذلك. كنت اعتقد انها صديقان فحبيب».

«انه واقع في غرامها هو رجل لطيف. وبالطبع ليس هناك أي مجال لمقارنته بيول الذي يتمتع بجاذبية لا مثيل لها. صحيح أن بول لطيف. لكنه يتمتع بقوة وبقدرة هائلة... راوول رجل جذاب ايضاً. حتى ولو كان وجهه يشبه القروء. انه يناسب ليدا تماماً فهي انسانة مرهقة بحاجة الى الحنان. اما

بول فهو شديد الرجولة بالنسبة اليها. هل تفهين ما افصده»

«نعم»

انها ترى امورا كثيرة. ازحت وجهي عنها.

بعد الغداء. اخذنا قسطا من الراحة قبل الذهاب الى فيللا لاريسا حيث تسكن

السيدة سوتسوس. ابنة عم فازيلي

الفيللا كناية عن منزل مطلي باللون العاجي. يطل على البحر ومبنى وسط

اشجار النخيل والورد والنباتات المتسلقة

استقبلتنا السيدة سوتسوس في حرارة. انها امرأة عجوز قصيرة لغتها

الانكليزية محدودة ومعظم ما قالته كان يقوم بترجمته لي فازيلي او بول

اظهرت لفة كبيرة لحاء نيكوس. كانت تأخذه بيدها. وتنظر اليه وتهز رأسها

وتتلفظ باسم الكسيس مرات عدة. التفت فازيلي الى وقال

«ابنة عمي ايفيزيا ترى ان نيكوس ولد يتمتع بجمال خارق. انه ابن

الفجر»

احتسنا شراب الكرز الاسود واكلنا الحلوى بالعسل والجوز. وتناولنا القهوة

ووراء الغرفة الصغيرة ذات الستائر المفتوحة تطل حديقة ملونة ويتسلل من الباب

ضدى الماء.

صرخ نيكوس وهو ينظر من خلال الباب

«هناك سيل. يا امي. مشابه لذلك الذي في فيللا مارمارا»

قأسرعت السيدة سوتسوس القول

«اذهب الى هناك. يا نيكوس يمكنك اكتشاف المكان. وانت يا ستاسي»

اتريدين زيارة الحديقة»

قلت وانا ابتسم للمرأة العجوز

«نعم احب الخروج الى الحديقة»

تهض بول وقال

«سأذهب معكما»

رمقت ليذا بول بنظرة تعبير فيها عن رغبتها في المجيء معنا. لكن قبل ان

تقف. التفت اليها فازيلي وقال

«لا ترافقيهم. يا عزيزتي. الطقس حار في الحديقة وانك تبدين متعبة. ان ابنة

عمي سعيدة بان تبقى بقربها»

وصلنا الى الترفة واسرع نيكوس الى تسلق السلالم المؤدية الى وسط

الحديقة. كان الحرفويا. الورد والفرنفل والجيرانيوم تعطر الهواء وتبدو كأنها حجارة

ثمينة تتناقض الوانها مع الوان اشجار السرو والشربين.

توجهنا. بول وانا. نحو السبيل الواقع تحت ظل شجرة جوز كبيرة ودوالي

العنب حاول بول لمس اصابعي وقال في صوت خافت:

«حبيبتى. اني احبك بعنف لذي شيء» اقلوه لك»

شعرت بأنفاسه تلمح عنقي واستسلمت في قشعريرة حلوة. كنت اريد ان اكون

بين ذراعيه لكن في هذه اللحظة. لا يمكننا الا لمس ايدينا وتبادل النظرات.

«هل تريد ان تحدثني في موضوع ليذا» هل كلمتها بالامر»

قطب حاجبيه وقال

«لم يتسن لي بعد الوقت لأحدثها عن مشروعي. سأحاول في المساء. اذا تمكنت من

ان اراها على متن يخت راوول»

عضضت على شفتي وقلت

«انى اخاف ان... آه. يا بول. امل ان تكون قد كفت عن حبك»

«ان ليذا دائها هكذا. امرأة خاضعة ومتعلقة»

ثم توقف عن الكلام لدى وصول نيكوس

«امي. هناك قنصل رجل من حجر تعالي وشاهديه»

تبعته وانا اقول

«نعم يا حبيبتى»

بعد دقائق قليلة، نادتنا ليدا.

«تريد ايفيزيا رؤية نيكوس لتريه شيئاً ما.»

كانت مفاجأة السيدة سوستوس رائعة، إذ انها ارتنا صورة صغيرة لألكسيس، مرسومة باليد وموضوعة في إطار خشبي مذهب، ومزين بالحجارة الثمينة الصغيرة. كان ما زال ولداً، في حوال الثانية عشرة، لا يختلف كثيراً عن الرجل الذي عرفته. كانت عيناه الداكنتان والحيويتان تبتسمان. وشعره الاسود يقع على جبينه.

تأملت الصورة وشعرت بالدموع تصعد الى عيني ورحت اردد في قلبي: «الكسيس، يا عزيزي الكسيس، لاتلني لأني احببت بول، اني سأحبك دائماً ولن انسلك ابداً...»

كانت السيدة سوستوس تنظر الى محاولة ان تقرأ افكارى وضعت يديها بيدي اللتين كانتا مائزتان لمسكان بالصورة، ثم تلفظت بكلمات باليونانية.

انحنى فازيلي نحوى وقال:

«تقول ايفيزيا انها تقدم هذه الصورة لك.»

ابتسمت لها وقلت باللغة اليونانية:

«شكراً جزيلاً.»

لم اكن اعرف ان أعبر عن عاطفتي افضل من ان اطيع على خدعها المجددة الناعسة قبله شكر وعريون محبة.

وعندما حان الوقت للذهاب رفعت ايفيزيا يدها في اشارة مباركة وقالت شيئاً لم افهمه. فسألت بول ان يترجم لى. فابتسم بحنان من دون ان يكثرث بوجود فازيلي وليدا.

كانت ليدا تنظر الينا ثم قالت في جفاف:

«ان ايفيزيا امرأة عجوز خرفة.»

تناولنا العشاء في بخت راوول، ثم قمنا بجولة وداعية في المدينة وعلى شاطئ.

البحر كان بول وليدا في مؤخرة المجموعة. كنت نواقة الى معرفة الاسلوب الذي سيستعمله بول ليخبر الفتاة عن حيناً.

وبعد سير طويل وجدت نفسي قرب راوول الذي كان يلقى بنظرات عديدة الى الوراء، كأنه ينتظر أحداً ما. قال:

«لنتوقف وندخل الى هذا المقهى ونتناول كأساً من الشراب ونتنظر بحبي، بول وليدا.»

«كما تريد، لكن، ماذا عن الآخرين؟»

«سأخبرهم بالامر.»

اقترب من الآخرين وعاد بعد قليل مصطحباً هرميون.

«اتيان وفازيلي سيذهبان الى ساحة البلدة مع الآخرين وهرميون ستبقى معنا.»

دخلنا الى المقهى المجاور واختربنا طاولة في الشرفة، وبقينا مدة لا بأس بها. دون ان نعرف شيئاً عن بول وليدا.

«لا افهم ما جرى ليدا، ارجو الا يكون بول قد اخذها في طريق اطول ستشعر بارهاق.»

قالت هرميون:

«ربما عادا الى بختك، يا راوول.»

قطب راوول حاجبيه وقال:

«لماذا؟ لكن... ربما كنت على حق. ربما احتاجت ليدا الى منديلها، او ربما فضلت ان تغير حقيبتها.»

نهض فجأة وقال:

«هل انتهيتا من احتساء الشراب؟ سنلحق بالآخرين في ساحة البلدة، ثم نعود الى البحت، انها سهرتنا الاخيرة معا. يجب ألا نبقى منفصلين.»

التحقت بفازيلي وماريا وأل موليه والدكتور سيكيليانوس فوجى.

الجميع بغياب بول وليدا. لكن ربما أرادت ليدا أن تستريح.

قرب بخت راوول شاهدنا بول. وحيدا. كان يقترب نحونا.

«اني أسف ليدا مصابة... بصداغ. لقد أخذتها لقد أخذتها الى بخت...

اوسيانيس...»

ثم التفت الى راوول وقال:

«انها تقدم لك اعتذارها وتطلب منك ان تسامحها لأنها ليست قادرة على السهر

الليلة وبالتالي لن تكون معك لتتمنى لك رحلة سعيدة.»

ارتسم على وجه راوول تعبير غاضب وفهمت كم هو متعلق بها.

«اني أسف لأنني لم ارها لكن. اذا كانت على غير مايرام...»

هز كتفيه. فأسرع بول يقول:

«ستكتب لك.»

«شكراً. سأكتب لها كلمة ارجو أن تعطيها اياها في الغد. هل انت موافق؟»

«نعم. بكل تأكيد.»

السهرة الاخيرة على متن بخت راوول كانت حزينة وكئيبة. كان راوول

متوتراً وبول صامتاً. ودعنا راوول ونحن على رصيف المرفأ الى ان أصبح

اليخت نقطة لماعة وسط الظلام. عدنا الى السيارات التي كانت في انتظارنا.

اوصلني بول الى غرفتي حاملاً رسالة راوول الى ليدا. ثم قال لي:

«سأذهب الآن لرؤية ليدا. اعتقد انها استيقظت. اخاف أن اكون سبباً في

صداعها.»

عضضت على شفتي وقلت:

«اني أسفة. يا بول. كنت أمل...»

أخذني بين ذراعيه وقال:

«ليست الغلطة غلطتك. يا حبيبتي اني لست واقعاً في حب ليدا. ولا اهتم بأحد

غيرك.»

عانفتني في حنان ليؤكد لي صحة كلماته.

استنكلم غدا من جديد. لانظهي بهذا المظهر الحزين والقلق. يا ستاسي. كل

شيء على ما يراه. اني احبك.»

«وانا احبك ايضاً.»

كنت اود ان اصدق كلامه. لكنني في الحقيقة. كنت اشك في ذلك. الكلمات

وحدها لا تكفي.

كانت تفتل متديلاً بين يديها، وعندما رفعت رأسها، لاحظت الشحوب تحت عينيها، كأنها بكّت كثيراً. وذلك بسببي أنا.

«قال لي بول... انه مغرم بك. وانك انت ايضا تحبينه هل هذا صحيح؟»

«نعم. ولم يحصل هذا الحب الا منذ وقت قصير جداً.»

«لماذا اكن اعرف ما يمكنني اضافته»

«قالت ليديا:

«وان احبه كذلك.»

كانت تتكلم بهدوء وحرارة، كان كل كلمة تصدر من رأسها تحدث في داخله ألماً كبيراً نظرت الى نيكوس، كان ما يزال يرسم. فقلت:

«اعذريني، لم اكن اعرف ذلك. كنت اعتقد... بول... قال لي انكما صديقان

بسبب العلاقة القائمة بين العائلتين.»

«رددت تقول:

«اني احبه وهو يحبني ايضا نعم هذا صحيح. انه يحبني.»

تابعت كلامها من دون الاكتراث الى حركة الاحتجاج التي كنت على وشك

اصدارها.

«كنا متفقين على الزواج. ولم افكر ابداً انني سأزوج من احد غيره. حتى عندما

بقي غائبا مدة طويلة عن الجزيرة، كنت افكر فيه كل يوم وكنت اصلي كي يعود

الى ميلانيوس ويقبل بالبقاء هنا، وننزوج. لقد عاد وتعمقت عاطفتنا المتبادلة.

وبعد وقت قليل، كنت سأصبح زوجته، الى ان أتيت.»

«ليس صحيحاً... ارجوك، لا تظنني امرأة قاسية، لكن بول قال لي انه

يحترمك ويحبك كصديقة، ولا اكثر ان وصولي الى هنا لا علاقة له بتبدل الامور

في ما يخصك.»

«كلا ان بول تعلق بك لأنك ارملة الكسيس ولأنك جميلة. نعم هذا هو

السبب. لقد جن جنونه، لكن، اذا عدت الى انكلترا، فإنه سينساك وسيعود الى.»

٩ - شبحان على الصخرة

في اليوم التالي استيقظت متزعجة. كان الطقس قد تبدل فنشأت السحب

اصبحت رمادية ورياح هائجة تعصف. الامواج تهز البحر. وبعد هذه الايام

العديدة المشمسة، بدأنا نشعر بهبوط الحرارة ونرتدي الكثرات السميكة

«ستكلم غداً من جديد.» هذا ما قاله بول. وانا في انتظاره الآن. لكن

ليديا ظهرت. دخلت الى غرفة الطعام حيث كنت مع نيكوس من أجل

القيام بممارسة هواية الرسم من دون ازعاج فسيوف فازيلي الذين كانوا يقرأون

صحف الصباح.

اقتربت ليديا في هدوء وظلت وراءنا فقلت وانا اشعر باضطراب:

«أه، ليديا، هل تحسنت حالتك؟»

«نعم، اني اشعر بتحسن ملموس. لذي شيء أريد ان احثه معك يا ستاسي.»

نظرت الى نيكوس المنحني امام الرسوم التي يلونها. نهضت كي اجلس في

مكان ابعد قليلاً وقلت:

«سنجلس هنا.»

نظرت الى نيكوس فقلت:

«لست ذاهبة يا حبيبي. ليديا تريد ان تكلمني.»

جلسنا على الاربكة في زاوية الغرفة ورحت انتظر كلمات ليديا الاولى

كتفت يديها، كأنها في وضع الصلاة وقالت:

«ارجوك، يا ستاسي، ارحلي من هنا. لقد حصلت على حب الكيسيس. كما ان لديك نيكوس».

كان صوتها يرتجف انفعالا وظلت تردد:

«ارجوك، ارحلي واتركي لي بول».

بقيت خرساء. وراحت الشكوك تجتاحني هل هذه هي الحقيقة؟ هل ان حب

بول لي شيء عابر؟ انا نعرف بعضنا منذ اقل من شهرين. بينما ليذا وبول امضيا معا جزءاً كبيراً من حياتها.

وماذا لو كان شعوري تجاه بول نتيجة ثلاث سنوات من الوحدة بعد موت الكيسيس؟ مثل أميرة في القصص الخرافية، استعادت الحياة بعد قبلة واحدة. مثل بريسقوني التي خرجت من الشتاء نحو نور الربيع. وعرفت ان لحب من جديد. لقد ابغضني بول. ولهذا انا احبه. لكن هل ان هذا الحب كان لبناء المستقبل معه؟

وكانها شعرت بترددني، فأنحت نحو ي وقالت:

«عديني بأنك سترحلين».

ترددت متحاشية نظراتها المتوسلة. وقلت:

«لا استطيع. لن افعل قبل أن اؤكد ان بول...»

توقفت. فقالت:

«إذا قررت الرحيل، ستأكدين من كل شيء. فاما ان يذهب معك، او يبقى معي».

تساءلت ما اذا كانت ليذا تدرك خطورة وضعها، اي اذا كانت تعرف انها غير قادرة على الانتجاب. اذا حاولت استعادة بول، من دون ان تقول له الحقيقة، نكون قد خدعته. واذا حدثته بالامر، سينقلب القدر ضدها. وانا لايمكنني ان اتول لها شيئاً. لقد وثق فازيلي بي ما العمل؟ هل اعود الى انكلترا؟

كنت حائرة. نظرت اليها من جديد. بدت لي نحيلة ومحزنة ومثيرة للشفقة. يجب ألا أجرح شعورها. لقد كان لدى الكيسيس والآن لدى نيكوس لكن بول... وذلك النهار الجميل الذي امضيناه في جزيرة كورسيكاه. وتلك السعادة التي لن انساها لا شيء. يمكن ان يفرحنا لكني انا التي جئت وتدخلت بينها. قلت ببطء:

«سارحل شرط ان تعديني بشيء في مقابل رحيلي».

«ماذا، قولي».

نظرت اليها بغسوة وقلت:

«اريد منك وعداً قاطعاً بأن تظلي مخلصه وشريفة مع بول. مهما حدث».

«لا افهم ماذا تقصدين».

«ستفهمين في المستقبل. لكن افطمي هذا الوعد».

«انتي اعديك».

قلت بأسف وحسرة:

«وانا سأغادر ميلانيوس».

تهضت وقالت:

«شكراً، يا ستاسي».

اختفت في الطريق نفسها التي ظهرت فيها. جلست من جديد. اذن، كل شيء كان مقررأ. لكن المخطط لم يكن مخطط فازيلي برغم مهارته. ولا بول الذي كان يريد الزواج مني. بل مخطط هذه المرأة النحيلة، الناعمة، ليذا. سأعود الى انكلترا مع نيكوس. واذا كان بول يحبني حقاً، فإنه سيلحق بي. لكن اذا كانت عواطفنا عابرة، فعلى ان انساها واعيش من جديد، وحيدة.

لقد سبق وعشت وحيدة. بعد وفاة الكيسيس...

ابن ساجد الشجاعة لأبدأ حياتي من جديد؟ لا استطيع! ان الحياة من دون بول تبدو لي سجنأ مؤبداً.

لقد وعدتها بالرحيل. وبعد قليل، تنصل الى ميلانوس وعلى ان اطلع فازيلي على قرارى الاخير.

سيعضب سيحاول التاعى بالبقاء. وان اترك له نيكوس لن اصغى اليه وكلهاته لا يمكنها ان تغير شيئا من قرارى.

لكن بول. كيف سبلغه قرار رحيلى؟

خلال الطعام. اخبرنا فازيلي اننا سنوقف مرة واحدة. في جزيرة سيوس. لا يصل الدكتور سيكليانوس وهرميون. ووفقاً لنشرة الاحوال الجوية التى سمعناها في المذيع فان الطقس سيشتد نازماً لكنه قال ليطمنا.

«لا داعى للقلق. رغم ان بحر ايجيه يمكنه ان يصبح غداراً. فان البحر ليس عتيقاً. واحياناً تظهر الصخور من فوق الماء. لقد طلبت ان يصار الى تحريك المحركات كلها. وهكذا تنصل الى ميلانوس قبل هبوب العاصفة القوية.»

ابتسم ثم تابع يقول:

«اعتقد انه من الافضل لنا ان نبقى داخل اليخت. في مثل هذا الطقس. وبالتالي نسمح لطاقم الباخرة ان يقوم بعمله على احسن مايرام.»

ثم نظر الى وقال:

«ان بول يدير طاقم الباخرة. على سطح الباخرة. ويساعده في ذلك يورغوس. انه يقدم لك اعتذاره.»

وعندما حل المساء. بدأت الرياح تعصف بقوة والامواج العالية توجع اليخت. لم يظهر بول وقت العشاء. وهذا ما اراحنى لأننى لم اكن اريد اخباره بقرارى بهذه السرعة.

كنا نسبق العاصفة لكنها كانت تشيئنا. وخلال فترة سكون الرياح. ارتلنا الدكتور وهرميون. ثم توجهنا نحو ميلانوس. لم يبق امامنا سوى ساعات معدودة. واحيراً دخلنا المرفأ. لقد اتعبتنا الرحلة وبدأت قدامى ترغيفان.

كان مايك في انتظارنا. اسرع نحو فازيلي. ثم نحو ماريا وأخيراً

نحوى كانت يدها الكبيرتان تحلان لمس يدي وقال:

«لا يمكنك ان تدركي كم انا سعيد لرويتك من جديد. لقد كنا قلقين ونحن في اليخت. وسمعنا في الراديو نأ يقول إن يخبأ ارتطم بالصخور مساء امس قرب اندروس. كذت أموت هلعاً يا عزيزتى. كيف تشعرين الآن؟»

حاولت الابتسام وقمت بجهد لأبدو طبيعية.

«لا بأس. لكننى لم اكن اعتقد بأن ذلك يحصل في فصل الصيف. اعرف ان الغواص في الشتاء مرعبة.»

«عندما تعصف رياح الملتبني تكون احياناً خطيرة. هل فكرت في؟ لقد اشتقت اليك كثيراً.»

اقرب بول وشعرت بأحاساس بالذنب. خلال هذين الاسبوعين نسيت مايك كلياً.

تجههم وجه مايك وقال:

«اننى متأكد من انك كنت في احسن حال مع هؤلاء الاثرياء ولم تفكرى في أبداً.»
«الامر ليس كذلك يا مايك.»

«اننى امزح يا صغيرتى. وانا سعيد لأنك تسليت وفرحت. سأوصل ماريا واعد بعد ظهر اليوم الى فيللا مارمارا. ارجوان يتسنى لى قضاء النهار معك.»

«نعم. ولكن...»

«ماذا؟»

«لاشيء.»

ضغط على اصابعى وقال:

«الى اللقاء بعد الظهر.»

كان بيثروم ينتظر قرب سيارة المرسيدس. وكان في داخلها ليندا وفازيلي اقرب بول منى وقال:

«ارجوان تكوني قد افهمت مايك. ألا يأمل كثيراً فيك. من الآن فصاعداً انت

ملكى يا حبيبتى»

بدأ قلبي ينبض بسرعة عند رؤية عينيه الدافنتين. وأضاف يقول:

«هل اتعبتك الرحلة! لقد نجونا مما هو أدهى. وعندما ستعصف الرياح بقوة سنكون في المنزل سليمين.»

لم يكن في امكاني الرد عليه. كيف سأوافيه بالباء؟ كيف أنفذ وعدى لليدا؟

لم يظهر بول إلا وقت العشاء. كان نظيفاً وانيقاً ومتغيراً. دخل الى الصالون حيث كان فازيلي يقدم الينا الشراب. كان السيد باناييدس مسروراً جداً لرؤيتنا وقال:

«كنا كلنا قلقين عليكم، الخدم، صغارهم وكبارهم توافدوا للاطمئنان على اخباركم. وابلغنا السيد هاردينغ انه اتصل بكم بواسطة راديو المطار. ثم علمنا بعودتكم وارتحنا.»

فجأة هزت الفيلا زوبعة قوية فانتفضت. قال فازيلي:

«لا تخافي يا عزيزتى. ستعصف الرياح لمدة يومين او ثلاثة ثم تهدأ. ويعود كل شيء الى ما كان عليه.»

كنت اود تصديقه، ولكن بعد ايام قليلة، عندما تهدأ الرياح، سيكون كل شيء مختلفاً تماماً.

بعد طعام العشاء توجهنا الى قاعة الاستقبال لتناول القهوة. كانت التيارات الهوائية، من حين الى آخر، تعبر الصالة محدثة ظلالاً متحركة. فناديل الزيت مشتعلة بسبب انقطاع الكهرباء. لم يحول بول نظره عني، وشعرت بحاجة ماسة الى ان يأخذني بعيداً حيث يمكننا ان نكون وحدنا. دخلت ديدو واقتربت مني وقالت:

«جئت اعلم السيدة ان السيد نيكوس متضايق من هذا الطقس السيء وهو يريدك الى جانبه.»

وقفت على الفور وقلت:

«يا حبيبى المسكين. كان يجب على ان اتفقدك. شكراً يا ديدو، سأذهب فوراً.»

قطب فازيلي حاجبيه وقال:

«لا تكونى متساهلة جداً مع هذا الصبي.»

لم ارد واسرعت الى نيكوس الذى كان في سريره يبكي من الخوف. وقال:

«هناك رجل يطرق على نافذتى ويريد ان يدخل.»

ضممته الى صدرى وقلت:

«انها الريح يا حبيبى لا تخف. ألا تتذكر كيف كانت الريح تنقذ طائفة الورق؟»

خبأ رأسه تحت ابطى وقال:

«هل الريح غاصية؟ تبدو وكأنها تريد تدمير المنزل.»

«لا تستطيع الريح ان تفعل ذلك يا حبيبى. سأخبرك الآن قصة وبعدها لن تعود تسمع الريح.»

«نعم. اخبرنى قصة الدلفين.»

استجمعت افكارى ورويت له حكاية تدور حول شخصية خرافية بحرية صديقة الصيادين وتحدثت عن الريح وعن صديقها الدلفين، الذى تحمله الامواج نحو جزيرة ساحرة، ولاحظت اخيراً انه نام فابتعدت عنه واطفأت النور وخرجت.

كانت قاعة الاستقبال فارغة. سمعت اصواتاً آتية من غرفة الطعام. ترددت وجلسيت فى أحد المقاعد. وبعد دقائق افتتح باب المكتب ودخل فازيلي وقال:

«او، لقد عدت. اعتقد بان السهرة تتخللها بعض المضايقات. يدوان بول وليدا غارقان فى حديث طويل.»

نظر الى من تحت حاجبيه العريضين وأضاف:

«ما كان ينبغي ان تبقى كل هذا الوقت مع نيكوس.»

«اننى متعبة وجئت لأمنى لكم ليلة سعيدة.»

«ما بك يا ستاسي، الا تعرفين ما يشعر بول به نحوك. لماذا تسمحين لليدا بالاستئثار به؟»

«ربما لديها حقوق اكثر مني عليه. انها تحب بول. وانا اسفة لما اخبرتنى عنها.»
«الشفقة هي جبن. انها تحول دون اتخاذ القرارات يجب ان تفكري ببول وليس بليدا.»

نظرت اليه. كان فاقد الصبر فقلت له:
«انت انسان عديم الشفقة يا فازيلي.»

واستغربت حين ابتسم وقال:
«الرجال الاقوياء هم غالباً هكذا. كيف تظنين انني وصلت الى هذا المركز من دون هذه الميزة؟ انها صفة يجب ان تنظري اليها بأعجاب.»
هززت رأسي وقلت:

«مهما كانت هذه الميزة ذات قيمة رفيعة فأنني لست مستعدة لأن اتخلى بها. لقد اتخذت قراراً نهائياً بأن اعود الى انكلترا فوراً مع نيكوس.»
«لماذا تقولين هذا الكلام؟ أمن اجل ليذا؟»
«نعم. لقد تحدثنا معا ووعدتها بأن ارجل من هنا.»
«وتتركي لها بول؟»

«انه الحل الافضل. اذا كان بول يحب ليذا، كما تعتقد هي، فسيعود اليها. واذا كان يحبني، فسيلحق بي الى انكلترا.»
«افهمك. لقد قدمت اليك اشياء كثيرة لكي تبقى هنا. لماذا تتصرفين هكذا؟»
«ان بول وحده سيد افعاله. ارجوك لاتعتريني بجبانة نيكوس. وانا امضينا عطلة رائعة، لكن هذا لا يمكن ان يستمر.»

«متى تنوين الذهاب؟»

«عندما تنتهي العاصفة.»

«ليس لدي شيء اخيفه.»

«انني اسفة ان انسى ابدأ اقامتي هنا.»

لم اكن قادرة على متابعة الكلام. سأفصل عن بول. انها النهاية اخيراً قلت:

«تصبح على خير.»

يبدو أن الريح اخذت كلماتي معها. الستائر تتطاير برغم أن التوافق خفيفة. خرجت من الصالون بسرعة وصعدت الى غرفتي.
كانت الريح. طوال الليل، تعصف بجنون. استيقظ نيكوس من جديد فأحضرتة الى سريري حيث اخلد الى النوم. اما انا فقد بقيت مستيقظة اصغي الى صوت الريح والى اصوات الاشياء التي تحرفها والى زيجرة غضبها. لم اكن خائفة. بل يائسة وحزينة لأنني قررت مغادرة ميلانوس.

وعند الفجر تمكنت من النوم ولم افتح عيني الا عندما جاءت ديدو تزيح الستائر. الريح لا تزال تعصف كما في الامس. احضرت لنا ديدو فطور الصباح الى الغرفة. لأننا لم نتمكن تناوله في الشرفة كما هي العادة، ولم اكن اريد لقاء السيد فازيلي في غرفة الطعام.

كان نيكوس يصبر على الخروج. لكنني كنت مرهقة، عاجزة عن ايجاد القدرة الكافية لأبلغ بول بأنني عائدة الى انكلترا.

اسرع نيكوس الى السلام. وبينما كنت مستعدة للهبوط لمحت بول ينتظرني تحت. وفي لحظة تذكرت ذلك الصباح عندما التقينا وكانت رأسه منحنية على يده المكسورة. بشعل سيكاراً. رفع رأسه ونظر الى بعيني الكيس. استعدت توازتي واقتربت منه في بظه وصدري يحترق ألماً. وما ان اصبحت في منتصف السلم حتى مدّ بول يده نحوي. مددت اصابعي وتمسكت به.

«ستاسي، يجب ان نتحدث.»

ومن غير وعي نظرت نحو باب المكتب الذي قد يكون فازيلي وراءه.

وانجلوس كان في غرفة الطعام.

جذبتني نيكوس من تورتني وقال

«هل ستخرج يا أمي؟»

«الطقس سيء يا حبيبتي»

«سأذهب الى الشاطئ»

«لا يا حبيبتي»

تقلص وجهه كأنه سيجهش بالبكاء فقال بول بسرعة:

«إنها فكرة رائعة. سننزل الى الكوخ حيث لا يزعجنا احد، وحيث في استطاعة

نيكوس ان يلهو وحده»

«ولكن كيف نتمكن من الوصول الى الكوخ من دون استعمال المصعد؟ هل

نسيت ان الكهرباء معطلة؟»

«نأخذ السلم. هناك ٢٩٦ درجة بالضبط. وإذا شعر نيكوس بأنه عاجز عن

مواصلة النزول فسأحمله»

لم يسبق لي ان استعملت هذه السلالم، لكن سبق ورأيتها. إنها تأخذ شكلاً

متعرجاً. أخذت الريح تتلاعب بملابسنا وشعرنا. كنا كلما هبطنا أكثر نسمع صوت

ارتطام الامواج على الصخور. كان نيكوس متضايقاً ويريد العودة. كان

افضل لو ارسلناه الى ديدو، لكنه رفض واصر على متابعة الرحلة.

كان كوخل الشاطئ كبيراً يتألف من غرفتين منفصلتين وقاعة كبيرة

وجمامين. راح نيكوس يكتشف الزوايا ويفرقع على باب المصعد ويسرع نحو

النوافذ ليراقب الامواج.

أما بول وأنا فكانا نتبادل النظرات في صمت. كنت أمل ان يمتنع عن

معانفتي كي لا يقضي على المقاومة التي أعددت نفسي لها. أخيراً بدأنا الكلام

معاً.

«بول، اريد ان اقول لك...»

«مساءً أمس تحدثت مع ليدا...»

سكتنا ثم ابتسم بول وظل صامتاً.

«ماذا يجري يا بول؟»

«يبدو يا حبيبتي ان العاصفة منعتك من النوم، اليس كذلك؟»

سكتنا من جديد ثم اخذنا نضحك قال بول وهو يمسك يدي

«أخبريني»

ابتلعت ريقى وقلت:

«انتي... انتي... راحلة. سأعود الى انكلترا تحدثت في الموضوع مع والدك مساءً

أمس»

كنت انتظر احتجاجه، لكنه اخذني بين ذراعيه وقال:

«أسبب ليدا؟»

«هل تكلمت ليدا معك؟»

«أخبرتني انا ايضاً. ابلغتني بأنها ستجري عملية جراحية من اجل الانجاب. هناك

امل خمسين في المئة. ولن تجري العملية إلا اذا تزوجتها. ان الوضع دقيق جداً

بالنسبة الى... يا ستاسي»

«وماذا ستفعل؟»

قطب حاجبيه وقال:

«اريد ان اتزوجك انت. انت تعرفين هذا. انا لا أؤمن بالنضحيات غير المتجدية.

لكنني احترم ليدا كما انني اعرفها من زمان. وما يحدث لها يحزنني كثيراً. هل

كنت جباناً لأنني لم اقل لها في برود؟ انت حرة في اجراء العملية الجراحية، لكنني

لن اتزوجك اني احب ستاسي»

سرت نحو النافذة انظر الى الافق وقلت:

«لا طبعاً. لا يمكنني ان اسرقك منها. قلت لك انني سأعود الى انكلترا في كل

« في كل حال. ربما كانت ليدا تليق بك أكثر منى. انما تتمتعان بأشياء كثيرة مشتركة. أتكنها من البلد نفسه وتنتهيان إلى الحضارة نفسها. وإذا رحلت فستسيانتي. »

ضغط من جديد على كتفى وارغمني على النظر إليه وقال:

« كل هذا لا يجدي اننى احبك انت. لن انسى مدى الحياة ذلك اليوم الذي امضيناه معاً في كوسيانيه، وما من احد يمكنه ان يغير شيئاً. »

انحنى ليعانقني. لكن ضجة كبيرة ابعده عنى. اذ انقلب كرسيان من الحديد موضوعان قرب الحائط، وظهر نيكوس من تحتها مرعوباً وقال:

« كنت ابني خيمة. »

« كن حذراً في المرة المقبلة والا سحقك الكراسي. »

غمزني وذهب نحو الحمام فقلت له:

« لا تلبس نفسك. »

نظرت إلى بول وقلت:

« الا يمكننا ان نتكلم في جدية؟ »

« بلى ينبغي ذلك. لدى أشياء كثيرة افوتها لك. ثقي بي يا ستاسي. ان الله وحده يعرف كم اكره ان اراك تعودين إلى انكلترا. اريدك في قريبي كل لحظة. غير ان ليدا وضعها دقيق للغاية لتفترض انها اجرت العملية الجراحية ونجحت عندئذ يصح الوضع سهلاً على لأبلغها بأننى لا اريد ان اتزوجها. »

« ليس هذا قاسياً وهي التي سترضى بأجراء العملية من اجلك! »

« ومن اجلها هي ايضا. متى عرفت ان في امكانها الانجاب فستكون حرة في اختيار الرجل الذي تريد. »

بقيت صامتة. ماذا لو ان العملية فشلت. سيضطر بول إلى البقاء معها

« اننى ادرك مدى الصعوبات التي تعترضك الآن. انت تحب ليدا ولا يمكنك ان تؤذيها انى واحدة. »

« سألقى بك اينما كنت. انها مسألة وقت فقط لاغير. »

الوقت اسابيع لانهاية لها. بل اشهر طويلة. وعجدة. حزينة. اغمضت عيني امام هذا الواقع. ثم فتحتها الشفقة هي اصعب الامور

قلت محاولة الابتسام:

« سأنتظرك. »

« نعم يا حبيبتي... سأظل احبك إلى الابد. »

« انا احبك كثيراً. »

انفتح الباب وظهر نيكوس قائلاً:

« ان حدائى مبلل. »

« انك يا نيكوس شيطان كبير! »

« لا ان هذا ليس صحيحاً هل ستعود؟ »

« يجب ان نعود الآن. »

« هل ستصعد السلالة؟ انا لا أحب صعود السلالة. »

« سيحملك العم بول. »

« لا اريد ان يحملني احد. »

اتار يده إلى السلالم التي تؤدي إلى حديقة برسقوني وقال:

« من هنا يا امي. »

« لا اعتقد ان الطريق من هنا خطرة. ليس هذا صحيحاً يا بول. »

« لن يكون الامر صعباً خصوصاً وان عدد الدرجات اقل. »

عبرنا الباب الذي يطل على الشرفة. واجهتنا الريح وراحت تتلاعب بتورتى وسترتى وتشعري. هرعنا نحو الطريق المؤدية إلى السلالم وبدانا بالصعود واستعدنا

رفعت رأسي وبدأت ارتجف. رحنا نتأمل معاً الازهار والنباتات النامية على
السلالم. كانت مكسورة بتأثير الريح. لقد حسرت رونقها والوانها الزاهية. قلت:
«كانت نباتات جميلة»

«ستنمو من جديد وستفتح وتزهو»

هزئت رأسي لأنني تذكرت انني لن اكون هنا لأراها تنمو من جديد
بدأنا تصعد بعدما احبنا رؤوسنا والتصقنا بطرف السلم. كان بول وراءنا
مستعداً لالتقاطنا اذا ما قذفنا الريح. فجأة سمعته يصرخ:
«يا الهى. المرأة التي هناك. اليست هي ليدا»

توقفت ورفعت رأسي فرأيت ليدا واقفة على قمة الصخرة وتنتظر الينا. كانت
تشبه تمثالاً. واضعة يديها من جهتي رأسها كأنها تحصى شعرها. كان فستانها
الابيض ملتصقا بجسمها وكان فازيلي يقف وراءها.

بدت ليدا وكأنها تنحني الى الامام. كأنها تحاول ان ترى افضل أو تريد أن
تتأدبنا. وشاهدت فازيلي يمد يده نحوها ربما ليمسكها. ولم أعد اعرف شيئاً
كنت بعيدة جداً كي اتكهن من مراقبة تعبير وجهها اليد الممدودة نحوها بدأت
تتحرك لتدفعها أو لتتسك بها. ثم حصل ما حصل.

كأنها اسطورة يونانية. الشبحان على قمة الصخرة. ليدا وشعرها المتطاير
وفازيلي الجامد وراءها ماداً يده. فقدت ليدا توازنها ويبدو أن قدمها تعثرت
بحجر. وبعد ثانية سقطت وابتعدت يديها عن شعرها بمحاولة التمسك بما حولها ثم
راحت تندرج على السلالم ثم ما لبثت ان توقفت وجمدت في منتصف السلالم.

١٠ - ... وبقي الطاغى وحيداً!

صعد بول السلالم في سرعة وكان ليكوس متشبهاً بقدمي. ينظر الى ما
حدث وقد فتح عينيه الواسعتين. ثم قال:
«أمي. ماذا يجري؟ من هي؟»
«انها ليدا. لقد سقطت وذهب بول ليساعدها»

كانت تشبه عصفوراً مصاباً وزيل فستانها الابيض ممد حولها. تفحصها
بول ثم اخذها بين ذراعيه وصعد معها. جاء فازيلي نحوها ثم رفع رأس
ليدا ومد ذراعه حولها ليساعد بول.
ظل ليكوس يحدق بالجميع فقلت له:
«تعال يا حبيبي. سنلحق بهم»

وببطء بدأنا تصعد. كان بول قد مدد ليدا على البلاط قرب السيل
وراح يمسح وجهها بمنديل مبلل. وكان فازيلي ينظر بصمت.
ركعت قربها واخذت يدها وقلت منزعمة:

«هل هي... هل هي...»

«انها حية. شكراً يا الهى. هل في امكانك الذهاب الى المنزل وإرسال بيتروس
مع المجالعة؟ فولي لديهم ان تعد الغرفة وتدفئ السرير. اسي. اذهب مع
سنانى. تبدو متألماً»

سأله.

«كيف وقع الحادث؟»

اجاب فازيلي

«لا اعرف. جئت الى الحديقة، فلاحقت ليديا بي. كانت تبحث عن بول. ثم رأيناكم وانتم تصعدون السلالم. كانت قلقة وفجأة، سقطت.»

كان كتيباً وأنا كذلك، كنت احاول اخفاء كتابتي عن نيكوس.

وبسرعة، ذهب بيتروس الى الحديقة وصعدت ديدو لتعد الغرفة قلت لفازيلي عندما كنا في البهو:

«يجب استدعاء الطبيب»

«الطبيب؟ لكن ليس في هذا المكان اي طبيب.»

«اطلب طبيبا من اثينا او من جزيرة اخرى.»

«لا يمكن للبحث ان يبرر الآن. لننتظر قرار بول.»

بعد لحظات، عاد بول وبيتروس حاملين ليديا على حمالة ووضعها في سريرها. كانت فاقدة الوعي.

تبعتها ثم نظفت وجهها وغرستها من ملابسها وضعت عليها الغطاء.

«إذا كانت مصابة في ظهرها فقد يحدث أي شيء، إذا حركتها سأذهب واحضر الطبيب.»

«فازيلي يقول انه يجب اخذها الى اثينا.»

«هذا مستحيل. الريح هدأت وسأذهب مع هاسكي. انه الحل الوحيد. وسأعود مصطحبا احد الجراحين.»

عضضت على شفتي وقلت:

«الا يمكن لمايك أن يذهب وحده؟ انه يعرف قيادة الطائرة.»

اجاب بول بجفاف:

«لا، شكرا. يا ستاسي. لن اسمح لمايك ان يقوم بمهمة قاسية كهذه. في كل

حال، اني طيار قادر ويمكنني المجازفة.»

«أو، يا الهي، يمكن ان يحدث لك مكروه.»

امسك ذقتي بيده وقال

«حسيني. حاولي ألا تقلقي. اني متأكد من انني سأنجح في مهمتي.»

وضعت وجهي في ابطه فقال لي:

«انني قرب ليديا وعندما تتعين، دعني ديدو او فازيلي يحلان مكانك لا

تتركوها وحدها هناك مسكات وصفها الدكتور ديمتري. اعطسها منها اذا استيقظت ولكن قد يحصل اي شيء قبل عودتنا.»

«منى تعودون؟»

نظر الى ساعته وقال:

«انها مسألة ساعات قليلة. سنعود في نهاية بعد الظهر، او في المساء. انا ذاهب

الآن يا حبيبتي.»

«سأصلي من اهلك.»

كان قد ذهب. فجلست في المقعد، قرب السرير. ومن جديد بدأت الريح

تعصف بمحطة ضجة رهبة على سطح المنزل. النوافذ الخشبية تصفق والاشجار

تنحرك بسرعة والاوراق تسقط الواحدة تلو الأخرى وفكرت وفلت لتضي. لن

يستطيع بول ان ينجح في مهمته في مثل هذه الاحوال.

انفتح الباب ودخل فازيلي

«بول. يتصرف جنون. لماذا لم تمنعه من الذهاب؟»

«حاولت.»

«ومن اجل من؟ من اجل من اجل ليديا؟ هذه الفتاة المعاقة لماذا يضحي انني

بحياته من اجلها؟»

ازعجتني تسوته اليس عتده ذرة من الرحمة؟ انا ايضا احب بول، لكنني

افهم حرصه على انقاذ ليديا. لكن فازيلي لم يكن يحب الفتاة ليس لديه حب

يقدمه لمن لا يطعمه أو لمن لا فائدة منه

اجتاحني شعيرة أنه غير قلق عليها

فجأة، رأيت رأس ليدا يتحرك على الوسادة. أنحيت لأسك يدها النحيلة
وشعرت بأصابعها تضغط على أصابعي. ثم فتحت عينيها ونظرت إلى السقف ثم
تحولت نحونا ولدى رؤيتها وجد فازيلي، تفلست من الألم أو من الخوف؟
راحت تنأه بضعف وتقول:

«لا... لا، أرجوك...»

وضعت يدي ببطء على جبينها وقلت:

«كل شيء على ما يرام يا ليدا لقد نجوت.»

«أذهب أذهب...»

لمن تقول هذا الكلام لي أو لفازيلي؟

قلت في لهجة هادئة:

«أهدأ، سنذهب وتدعك ثمانية.»

ولفرط دهشتي، تمسكت بيدي وقالت:

«لا، أنت ابق.»

قلت لفازيلي:

«أعتقد أنها تريد منك أن تذهب.»

تطلب حاجبيه وخطا خطوة إلى الوراء وقال:

«أنا نهذي...»

قالت ليدا شيئاً ما بصوت خافت، فأنحيت لأسمعتها.

«... بول...»

«ذهب ليحضر الطبيب وسيعود في الحال.»

يبدو أنها لم تسمعني، لكنها رددت الاسم وفهمت فجأة أنها تتلفظ بكلمة:

راوول.

لم تعد تتكلم. ولم تفتح عينيها مرة فازيلي كنت فيه وخرج.

الانتظار كان طويلاً جداً. دخل انجلوس حاملاً صينية بين ذراعيه. فأكلت
بعض الدجاج وشربت القهوة لتهدئة اعصابي. حلت ديدو مكانتي بعض
الوقت لأغسل وأرى نيكوس. ولما عدت إلى غرفة ليدا، التقيت بمايك. جاء
نحوي وأمسك بيدي وقال:

«جئت لأرى ما إذا كان في إمكانني تقديم أية مساعدة. يا ليدا المسكينة، كيف
حالتها الآن؟»

«من الصعب الإجابة. لا يبدو أنها متألّة. هل هناك أي خبر عن بول؟»

«كلا، لقد غادر المطار منذ نصف ساعة. أنه طيار قدير وسينجح في مهمته. أردت
أن أذهب مكانه. لكنه رفض.»

«أه، مايك.»

بالرغم مني رحت اليكي

«لا، يا صغیرتی. لا يکي سيعود بول بسرعة.»

«اعرف، لكن قلقة.»

«من أجل بول متى حصل هذا الحب؟ أنت تحبينه. اليس كذلك. وهل هو
يحبك الحب نفسه؟»

«من الصعب تفسير هذا في الوقت الحاضر.»

«لا تخافي. اني افهم كل شيء.»

«مايك. كنت أود أن تكون أنت من أفع في حبه. لكن لم أعد قادرة على أن أفعل

شيئاً. انني عائدة إلى انكلترا.»

«لكن... لماذا؟»

«لايمكنتي أن اشرح لك السبب. اني أسفة، يا مايك لكن قل. ألم اشجعك

على محبتي. اليس كذلك.»

وضع يديه بنعومة على كتفي وقال بلطف:

«أني احبك. يا ستاسي. منذ اللحظة الأولى. إذا لحقت بك إلى انكثرا. فهل

ستبدلين رأيك؟ هل لدي حظ معك؟»

«لا. يا مايك. كنا صديقين حميمين»

«حسناً. لكن تذكرى. أننا نعيش في الكرة الأرضية. في الكوكب نفسه. إذا كنت

في حاجة إلى...»

«لن انساك أبداً. يا مايك»

«كان صوتي يرتجف كأنني سأبكي من جديد»

«وداعاً. يا صغيرتي»

استدار مايك متوجهاً نحو السلم

وما إن دخلت الغرفة حتى نهضت ديدو وقالت لي

«لم أحول نظري عنها»

«شكراً ديدو. سأسهر الآن عليها»

ليدا لا تتحرك. فقلت في نفسي. ماذا لو ماتت؟ فلن تعود هناك أية مشكلة

بالنسبة إلى والي بول

وفي حبل أبعدت هذه الفكرة عن مخيلتي ورحلت أقتنى شفاء ليدا

ضغطت على يدها كأنني أمدّها بالحياة. وفجأة. فتحت عينيها وهمت

«لاندعي... فازيلي...»

ثم اغمضت عينيها من جديد فقلت

«ليدا. ماذا يجري؟»

لقد فقدت وعيها من جديد. لم تكن تريد فازيلي في غرفتها كانت خائفة

منه. لكن. اليس هو الوصي عليها كأنه والدها...

حاولت استعادة تفاصيل الحادث المؤلم من جديد. التيهان تزججها الريح.

في قمة الصخرة وكان فازيلي ماداً يده نحوها. لكن من الصعب القول بأنه

لمسها. إذن. لماذا لم يساعدها. عندما التفتت إلى الوراء. هل لأنه دفعها؟

احتلتي شعور بالرب. حاولت التخلص من هذه الأفكار المزعجة

«لا. إنه حادث فقط»

استعدت انقاسي. لاشك في أن فازيلي لا يتردد في استخدام الناس لتحقيق

أهدافه. لكن ليس إلى حد ارتكاب جريمة؟ ربما قال ليدا كلمة قاسية هزتها.

فتأرجعت وسقطت. لكن لماذا لم يحاول منعها من الميخلة

وذلك الصوت المذكر عاد إلى رأسي. الشك والريبة. وضعت يدي على أذني

حتى لا أسمع الصوت. فتذكرت ليدا وبديها على صدغيها. على قمة

الصخرة.

التفت إلى السرير وفكرت من جديد: ستموت

وفي الحال. انفتح الباب وظهر بول على عتبة

لم تكن لفرحتي حدود. أردت أن أرمي في أحضانه وأذوب بين ذراعيه. إنه

حي. ورأيث وراه. أتيان وراوول.

وبكلمات قليلة شرح لي بول كل شيء. وبينما كان الطيبان يعانقان ليدا.

أخذني بول إلى الغرفة المجاورة وأخبرني تفاصيل رحلته الخطرة وكيف ساعده

هاسكي لتقلب على العاصفة. اتصل بيخت راوول الذي كان ما يزال

راسياً في بيربوس. فأسرع مع أتيان إلى مطار اثينا كما تسنى لأتيان

الاتصال بمرضة متحضر غداً إلى ميلانوس

أمسك يدي وعانقني وقال:

«استجاب الله إلى صلواتك»

«ماذا لو لم تعد؟»

«لكني أنا هنا. الآن»

«هل رأيت والدهك؟»

«قليلاً. سأذهب الآن لرؤيته. يبدو أنه متوتر»

زالت كل شكوكي. كيف يمكنه أن يكون مجرماً؟ والد الكسيس وبول. مجرم؟

انه رجل قاس، لكنه ليس مجنوناً!

انفتح باب الغرفة. سأل بول:

«كيف حالها؟»

وبرغم نظرنه القلقة، تكلم اتيان بصوت مطمئن:

«لقد اصببت سلسلة الظهر قليلاً. يجب ألا تتحرك لمدة اسبوع. ثم ينبغي نقلها الى

المستشفى لأجراء عملية جراحية.»

«في اثينا؟»

«انى افضل باريس. يمكن أن نجريها في اثينا حتى لا تقوم بأي حركة ثم نقلها

الى باريس. لكن كيف سنذهب الى اثينا؟ سبق وقلت ان لا يمكن لأي طائرة كبيرة

ان تهبط هنا!»

«يمكننا ان نذهب بطريق البحر.»

«طبعاً هذا اسهل. ثم من هناك نستقل طائرة سريعة الى باريس.. أحب ان

استشير والدك.»

وعندما ذهب الجميع، توجهت نحو النافذة ونظرت الى الاشجار المتأرجحة

والامواج التي ترتطم بالصخور. لقد زال الخطر. ليذا هي الآن بين ايدي اعظم

الجراحين. وبول حي يرزق وسوف يتزوج من ليذا في المستقبل. وانا

سأعود الى انكلترا.

كنت مستغرقة في افكاري ولم اسمع راوول يدخل ويسألني؟

«اين اتيان؟»

«ذهب مع بول ليكلها فازيلى حول نقل ليذا الى المستشفى كيف حالها؟»

«انها نائمة. لقد حقنها اتيان بأبرة مسكنة.»

كان وجهه قلقاً عندما قال:

«انها تبدو خائفة جداً. غدا تأتي الممرضة للاهتمام بها. الى ان تصبح قادرة على

الانتقال الى المنزل.»

«هل ستذهب الى باريس؟»

«نعم. انها امنية. اتيان واميتى انا ايضا.»

في صباح اليوم التالي هدأت العاصفة. كأنها معجزة. الشمس تلمع من جديد.

البحر هادئ. والسحاب زرقاء من دون غيوم. الاوراق البعثة وبقايا الزهور كانت

وحدها اثار العاصفة.

وصلت الممرضة بعد الظهر وسافر اتيان في الطائرة نفسها. وبقي راوول

كما كنت اتوقع.

ظلت ليذا نائمة والممرضة تروح وتجيء مثل ظل. عاد بول الى اثينا

لفضاء بعض الاعمال. وامضى فازيلى معظم وقته في مكتبه.

امضيت الوقت على الشاطئ. مع نيكوس. في انتظار ان يتسنى لي التحدث

عن رحيلى متى استعاد المنزل وضعه الطبيعي.

قال راوول:

«سنذهب غداً. الطقس رائع و ليذا في تحسن مستمر. انها تريد ان يتحدثك يا

ستاسى.»

«سأراها بعد الظهر.»

كانت الغرفة مشرقة ومزينة بالزهور المختلفة التي ارسلها الدكتور

سيكيليانوس وماريا وهرميون. وكانت ليذا ممددة على السرير. وعندما دخلت

اشارت بيدها وقالت:

«اردت ان اراك قبل ذلك يا ستاسى. لكن راوول لم يسمح لي بذلك قبل

اليوم.»

«وانا ايضا كنت اود رؤيتك لكن راوول قال لي ان الزيارات ممنوعة في

الوقت الحاضر.»

«لم يكن يريد أن يرانى مضطربة. كان يعرف ان رؤية فازيلى سترغبني.»

نظرت الى في عمق وقالت:

«اني راحلة يا ستاسي، وربما لن اعود الى هنا بعد الآن. اردت ان احدثك قبل رحيلي، لن انزوج من بول»
 «ماذا؟ لكنك تحبينه. وتحلمين دائما بهذا الزواج»
 «مازلت احبه لكن هذا لا يكفي. قال لي فازيلي...»
 «امسكت بيدها النحيلة وقلت:
 «لا تتكلمي يا ليذا. ستشعرين بالآلم»

«اريد ان تعرفي لماذا اريد الرحيل. لقد اراد فازيلي قتلي. عندما اتيت لأرى بول كنت خائفة، فأبلغني فازيلي بوجودكما في الكوخ. ولم اشاهد نيكوس معكما. اعتقدت انكما ذهبتا سراً من أجل أن تكونا وحيدين... قلت لفازيلي انك وعدتني بالرحيل وترك بول. اجابني بالحرف الواحد: اية امرأة انت؟ لن اسمح لك بالزواج من بول. وافضل ان اقتلك... انه انسان كريمة. مد يده نحوي فالتفت وزلقت. ولم يحاول مساعدتي، بل ظل واقفاً ينظر الى...»
 «ربما تخيلت ذلك»

«لقد انتابني الكوابيس وراوول يعرف ذلك. لم اكن قادرة على النوم حتى بعدما تناولت الحبوب المهدئة. كان يقول لي ان فازيلي لا يستطيع ان يؤذيني لكنني ما ازال اذكر ملامحه وتعابير وجهه وطريقته في التطلع الى والي اي حد. كان يكرهني في تلك اللحظة»
 «وراحت تبكي فقلت لها:

«لا يا ليذا لا تبكي. سيزداد مرضك ولن تكوني في حالة تسمح لك بالسفر غدا»
 «نعم. غدا انا ذاهبة مع راوول. لقد طلب ان يتزوجني وان نساكن في باريس»
 قال لي انني سأشقى بسرعة بعد اجراء العملية وان في امكاني الانجاب بعد اجراء العملية القيصرية. واذا لم يتحقق ذلك، فيسكتنا ان تنبئ ولدا»
 «لكن ماذا لو كنت ما تزالين تحبين بول»

«راوول يعرف تماماً حقيقة عواطفني. سبق له وطلب يدي برغم حبي لبول»

قال لي انني سأغير عندما ارحل من هنا. انت الزوجة المناسبة لبول»
 «ارجوك يا ليذا كونى سعيدة»
 «سأحاول يا ستاسي. والآن الى اللقاء. هل نحن صديقان؟»
 «نعم دائما وستلتقي في أحد الايام»

شعرت باضطراب وانا اهبط السلالم المؤدية الى الطابق الاسفل لقد حررتنا ليذا انا وبول. انني اقتنى من كل قلبي ان تكون سعيدة مع راوول الذي يحبها حقاً ثم تحولت افكاري الى فازيلي بدأت اخاف.
 فجأة افتتح باب المكتب. كان فازيلي على العتبة ولم اتمكن من التهرب منه. قال:

«هل كنت تزورين ليذا؟ كيف حالها؟»
 «احسن بكثير»
 «هل ستذهب غدا؟»

تساءلت عما اذا كان على علم انها لن تعود الى هنا بعد الآن وانها ستزوج من راوول. وانا ايضا، اريد ان اغادر هذه الجزيرة. ارفض البقاء هنا. تحت سيطرته، حتى ولو كنت مع بول. سيديرنا ويتحكم بنيكوس»
 «وانت؟ متى سترحلين؟»

كان ساخراً كأنه يقول: «الآن الامر يختلف، عما كان عليه»
 ترددت ثم قلت:

«لست متأكدة بعد الاسبوع المقبل...»
 «بعد رؤية بول. على ما اظن»
 «نعم»

«سيعود غدا او بعد غد. وسيساعدك على اتخاذ القرار الصحيح»
 لم ارد. فانسحبت عائدة من مكثه.

في صباح اليوم التالي، صعدت ليذا والممرضة وراوول في يخت

فازيلي المتجهد نحو اثينا. نيكوس وأنا بقينا في الشرفة تلوح لهم. مودعين.
مر النهار بهدوء. بين السباحة وحمامات الشمس. بدت الفيللا فارغة. لم يتناول
فازيلي طعام الغداء معنا. وبعد الظهر ذهبنا الى الاسطيل وركب نيكوس
على ظهر الحمار الرمادي. كنت امشي في قربه. اردت زيارة ماريلا. لكنني كنت
اخاف ان اكون غائبة لدى وصول بول الذي لم يعد بعد.

في اليوم التالي. رحلت اتفقد الطائرة. ومرات عديدة كان يخيل الي اني اسمع
محرك سيارة او شاحنة.

في المساء. بعدما وضعت نيكوس في السرير خرجت الى الحديقة الدمارنة
اصلاحه. والنباتات المكسرة حلت مكانها نباتات اخرى. لكن جمالها مختلف
تأملت البحر الذي كان بلون الذهب وبث حزيمة. كثيفة. متأللة.

كيف في امكاني مغادرة كل هذا الجبال؟

لكنني كنت اعرف ان هذا الهدوء والسلام والسكينة سراب. وراها الحاكم
فازيلي. لن اسلم نيكوس لطغيانه. ورحلت انسايل متى سيعود بول.
فجأة سمعت صوته.

«كنت متأكدًا من اني سأراك هنا».

اخذني بين ذراعيه وقال:

«اه. يا ستاسي. ابتعدت عنك كثيرا».

عائتي بحتان وشغف. واستسلمت له. ثم قال لي في صوت مرتبك:

«ذهبت ليدا. وضعتها في الطائرة صباح اليوم».

«هل اخبرتك عن راوول؟»

«نعم. الامور سارت على مايرام. اعتقد انها سعيدان سيهتم بها راوول. لكن

كيف في امكاني ان تتغير بهذه السرعة المفاجئة؟ هل حصل هذا بسبب الحادث؟»

لم اقل له: والدك اراد ان يقتلها.

ثم قال:

«اخيرا. المستقبل امامنا. يا حبي. هل تقبلين بالزواج مني؟»

ترددت. كيف اقول له اني خائفة ان اعيش هنا. في ميلاتينوس سألني:
«الم تغيري رأيك؟»

ضغطت على كتفيه وقلت:

«كلا. كنت انسايل فقط اين سنعيش بعد الزواج. هنا. في ميلاتينوس؟»

«فكرت في الامر. يا حبيبي. لا اعتقد انها فكرة صائبة ان نعيش هنا. اقترح

الذهاب الى الولايات المتحدة الاميركية حيث سنتعرفين الى امي والى زوجها.

ويمكننا الزواج هناك وقضاء سنة كاملة في كاليفورنيا. سيكون الطقس رائعا وانا

استعيد مكانتي في الشركة. في سان فرانسيسكو».

شعرت بارتياح. واطلقت زفرة. فسألني بول:

«هل تعجبك الفكرة؟»

«هذا ما كنت اتناه. لكن... والدك؟ سيحزن اذا تركناه. هل وظيفتك في الشركة ما

زالت قائمة؟»

«اعتقد اني مسؤول كبير هناك. على والدي ان يتحمل وحدته. ليعرف مدى

سلطته القوية. سنبعد عنه كما ابتعد الكسيس في الماضي. ليدا لن تعود

ابداً. ونحن سنرحل».

حل الظلام وانطفأت الانوار. فجأة شعرت بالشفقة تجاه فازيلي فقلت في

صوت خافت:

«سيجد والدك نفسه وحيداً».

«ان كل الطفلة وحيدون. لاتقلقي».

ثم شدني في حنان الى ذراعيه وقال:

«سنأتي لزيارته من وقت الى آخر وسيرى حفيده. بل احفاده... سنعود مراراً الى

هذه الجزيرة. والى هذه الحديقة».

«حديقة برسفوني»

حيث وجدت الربيع لأعرف السعادة الكبرى. ولأدرك ان حبي لألكسيس
باق ولن يتأثر بالعواطف التي اكنها لبول.

sarah
liilas.com